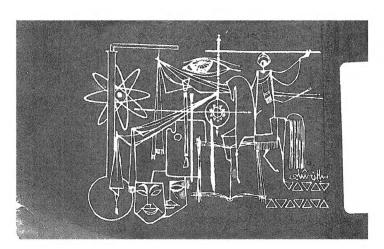
الهيئة للمتربية العامة للتأليف والنشر



د ورمصرفی تکوین انحضاره تایف: فؤادمحهدهبل



اهداءات ۲۰۰۰

ا.د.رشيد سالم الناضوري أستاذ التاريخ القديم جامعة الإسكندرية

الكئين الثقافين بياسة حدة، العدد ۲۷۰

دورمصرفی تحوین انحضاره تالیف: فؤاد محب مدشیل

الهيئة المصربية العسامة للمتأليف والنشس

الإهداء

الى اسم قدسته الأديان وكرمته كتب السماء انه سجل مفاخر الانسان ومرآة أمجاد البشر

وصرح الخضارة بأسمى معانيها

وانه التاريخ نفسه بجميع حقائقه

أجل ؛ إلى مصر ٠٠٠ أم الدنيا

تعتديم

انتقد السير ارنست باركر المؤرخ العالمي آرنولد توينبي لتخصيصه في فهارس أجزاء موسوعته مساحة لانجلترا تبلغ سدس المساحة التي خصصها لمصر • ورد العلامة توينبي على النقد بالقول بأن المصادفة وحدها هي التي جعلت مساحة فهرس انجلترا سدس المساحة المحصدة لمصر من الفهارس • ولو كان وانجلترا الحقيقية في الحضارة الانسائية ، وابحلترا الجنيدي نصيب انجلترا جزءا واحدا لرجب ألا يتعدى نصيب انجلترا جزءا واحدا من ستين جزءا ولمصر التسعة والحمسون جزءا والحراالية ،

ذلك لأن مصر _ كسا يقرر الأسستاذ توينبى _ قد ظلت محور التاريخ العالمي نلاثة آلاف وخمسمائة سنة من تاريخ العسالم الحضارى البالغ خمسة آلاف سنة ، أى أنها قد قامت بالدور الرئيسي على مسرح الحضارة العالمية بنسبة سبعيل في الماية من تلك الفترة ، ولم ينقطع دورها الحضارى خلال العصرين السيحى والاسلامي :

فانها هي التي منحت فكرة الرهبنة للعالم المسسيحي ، وهي التي صساغت اللاهوت المسسيحي وله ولما أسلمت جمهرة المحريين الساحقة ، أصبحت قلعة العالم الاسسسلامي ولولاها لامحت الحضارة الاسلامية من الوجود هي التي حمته من الصليبيين والتتار ، وهي التي صائت الثقافة الاسلامية ، وفي ربوعها ترعرعت وازدهرت ونمت وما انفكت أكثر دول قلب الاسسلامي اقبالا على الانتهال من معين الثقافة الغربية ، ولكن مع الحفاظ على ذاتيتها الميزة بفضل قدرتها العجيبة على استيعاب الثقافات الأجنسة وتمثلها .

والحق ؛ ازدهرت الحضارة مند سبعة آلاف سنة في الجزء الادنى من وادى النيل ، ولاتزال الأهرام تحمل مند خمسة آلاف سنة المدليل النساطق على وجسود منشئيها ليتوقعون بقاءها مئسات آلاف أخرى من ليتوقعون بقاءها مئسات آلاف أخرى من السنوات القادمة ، ولا يستبعد أن تظل قائمة بعد فناء الانسان نفسه ، ويقرد المؤرخ المنجزات الحضارية المصرية تؤكد أن المصرين المنجزات الحضارية المائمة العالم بأسره بابتكاراته الحضارية الرائعة ، وبينما كانت اليونان في العالم صوب المدنية ، وظل العالم أمدا طويلا تقود يغترف من ينابيع حكمتها ،

وتسلم جمهرة المؤخرين بأن مصر هي أول بلد في العالم انبثقت منه الثورة الحضارية، ولم يتفوق على تأثيرات هذه الثورة على التقلم الانساني ، الا ماحققته البشرية في ابأن المأتي سنة الأخيرة ، بيد أنه لا يخفي أن أعظم كشف حضاري حققه الانسان منذ أن استوى على

⁽۱) صفحة . ۲٤ وما بعدها من الجزء الاول The Historian's History of the World

الأرض بشرا سويا قد تحقق في مصر ، وأعنى به الزراعة •

ولقد صحمت مصر لتقلبات الزمن واستطاعت الحفاظ على أصالتها ، وان اضطرت مسايرة لسنة التطور أن تغير الثوب الذي ترتديه المية بعد الأخرى ، بمعنى أنها قد استبدلت الاطار باطار آخر ، لكن بقيت الصورة – أى الجوهر – على ماهي عليه ، فأن رسالة مصر الحضارية لم تنقطع في أية مرحلة من مراحل تاريخها العريق ، واتصل دورها المرموق في الخضارة الانسانية على المرغم من تقلبات الزمان وعوادى الدهر ، ففي هذا السجل الضخم الحافل من تاريخ بلادنا : يلتقي الحاضر بالماضي والحديث بالقديم ،

وثمة ظاهرة فذة تنفرد بها مصر من بين بلاد العالم :

فان هناك صراعا أزليا بين المصريين والصحراء • فمنسذ بداية تكوين الحضسارة المصرية تتجه همة الدولة _ حكومة وشعبا _ الى درء خطر الصحراء عن البلاد • ولهسذا الخطر الرهيب جانبان : الأول مادى : يتمثل فى زحف الرمال على الأراضى الخصبة ، مما يقتضى الافادة من مياه النيل الى أبعد الحدود حرصا على خصوبة الأرض وحمايتها من أن تتحول الى بور ، أى الى صحراء .

الثاني - بشرى: يتجسل في اغارات الأقوام البدوية على وادى النيل لسلب جهود الفلاحين وحصيلة عملهم المضنى وحطم السمو الحضارى المصرى وازالة الذاتية المصرية من الوجود * وتحفل سجلات تاريخنا بالحروب ضد البدو وقد تجحوا في بعض الأوقات في احتلال بلادنا * وأذكر من قبيل المثال احتلال الهكسوس لها في التاريخ القديم وعدوان التتر في التاريخ الوسيط * وعدوان الاسرائيلين (نسل البدو العبرانيين) في الوقت الحاضر *

وهسذا الصراع العساتي ببن المصريين والصحواء هو الذي قاد لانبعاث الحضارة وقيام أول حكومة وتأليف أول جيش نظامي في التاريخ و وإذا كانت الحكومة قد فرضت على جميع شعوب الأرض وأصبحت الحرية

تعنى التخلص من القيود الحكومية والتحلل قدر الإمكان من ارتباطات الفرد بالمجتمع الذي يعيش بين ظهرانيه ، فأن الشعب المصرى – على النقيض – هو الذي تقبل الحكومة عن طواعية وسعادة اتقاء لفائلة الصحراء .

وسأتولى فى هذه الدراسة عرض دور مصر فى تكوين الحضارة مسترشدا بآراء جمهرة الباحثين فى المضارة المصرية وفى مقدمتهم الأستاذ الكبير أرنولد توينبى • وقد راعيت الايجاز الشديد وفاء بغساية المكتبة المقافدة •

وأسأل الله تعالى التوفيق والسداد ٠٠٠

فؤاد محمد شبل

القصل الأول

السمات! لأيساسية للحضارة المصريت

يعرف الكاتب الكبير د٠ ج٠ ولز الحضارة بأنهسا استيطان الناس منطقة على نحو متصل: يزرعونهسا ويتملكونها • ويعيش هؤلاء الناس معيشة متواصلة ، ويخضعون جميعا لادارة حكم مشترك ، ويعترفون بسيطرة مدينة (عاصمة) على جميع أنحاء هذه المنطقة •

وتأسيسا على هذا الرأى ؛ تكاد تجمع آراء المؤرخين على أن أول حضارة قد قامت على ضفاف النيل الأدنى ، وأنها سبقت بقليل قيامها في بلاد ميزوبوتاميا (العراق الحالى) •

ولا يعرف أصل المصريين على وجه التحديد :

فمن قائل انهم وفدوا من أفريقيا الشرقية •

ومن قائل انهم انحدروا الى الوادى من الهضبية الليبية ·

ومن قائل انهم جاءوا من آسيا الغربية ٠

وتكونت فى بداية الأمر ألوف من القرى الصسغيرة تستقل احداها عن الأخرى ، ويجمع سكانها بين حرفتى الصيد وزراعة الحبوب والخضر ، ولكل قسرية زعيمها وآلهتها المحلية ، تم تطورت أمور أولئك السكان فاقتصروا على الزراعة وحدها ، وعرفوا استخدام المعادن ، وتبادلوا عروض التجارة مع آسيا الغربية وأفريقيا الشرقية ،

لكن تباينت معيشة سكان وادى النيال الأدنى ومصيرهم عن سكان بلاد العالم الأخرى التى كون سكانها قرى ومستعمرات وذلك لوجود عاملين أساسيين :

الأول - البحر شــمالا وشرقا ، والصــعراء غربا وجنوبا • فكان أن أضفى ذلك على سكان الوادى الحماية،

فانصرفوا للنهوض بمستويانهم المادية والمعنوية في أمن وطمأنينة • واستطالت حضارتهم خسلال فترة تقع بين عامي ٥٠٠٠ و ٣٥٠٠ قبل الميلاد •

الثاني ما النيل ما اذ دفع الناس للاستقرار في أرض محددة بفضل توافر المياه ، كما ربط بين أجزاء واديه الأدنى و فأخذ سكانه يتنقلون في يسر وسهولة بين القرى : يتبادلون الآراء والسلع ، ويتدمج بعضهم مع بعضهم الآخر مما أرهص بوحدتهم في أمة ودولة .

واقتضت حراسة جسبور النيل وتوزيع ميساهه وضرورة استتباب الأمن الداخلي وحماية البلاد من عدوان البدو أعداء الحضارة أن تتجمع القرى ١٠ الى أن تكونت مملكتان : شمالية وجنوبية • وأغارت الشسمالية على الجنوبيسة فتحققت وحسدة البسلاد للمرة الأولى حوالى عام ٤٢٤٠ قبل الميلاد • لكن لم يطل الأمر بالرحسدة سوى بضعة قرون ثم انفرط عقدها وعادت المملكتان الى التنابذ ، الى أن تمكن الملك « نعرم سمينا » عام ٣٢٠٠ قبل الميلاد من تكوين مصر المتحدة •

وههنا يتبين صدق عبارة المؤرخ هيرودوتس « مصر هية النيل » •

وان الباحث ليصـــاب بالذهول ، اذ تستبين له تلك المنجزات الحضارية التي حققتها مصر بالفعل قبل بداية

عهد الأسرات اذ كان المصريون عند توحيد البلاد للمرة الثانية عام ٢٢٠٠ قبل الميلاد يعظون بمستوى حضارى رفيع ويتضح هذا من مشاهدة قبور ملوك وأمراء الأسرة الأولى: فانها متسعة الأرجاء ، كشفت بها أوان حجرية جميلة للغاية وأدوات من النحاس والبرونز ومجوهرات رائمة الصياغة وكانت الكتابة قد اخترعت بالفعل فاستخدمت لتسجيل أسماء الأرباب والربات وان عظمة فلد القبور لأبلغ شاهد على مدى نهضة العمارة وارتقاء هندسة البناء ،

ومن رأى العالم الكبير والتر ايمرى أن جميع عناصر التقدم الحضيارى الذى تبدى فى عصر بنساة الأهرام (۲۷۸۰ ـ ۲۱۰۰ قبل الميلاد) ـ ويعتبر قمة الحضارة المصرية ـ كانت موجودة بالفعل فى ابسان الأسرة الأولى (۳۲۰۰ قبل الميلاد) و لا يعرف المؤرخون سوى القليل عن عصر ماقبل الأسرات أى عن أجداد قدماء المصريين ، وان كشفت ثقافات ترجع الى عسمام ۲۰۰۰ ق.م بل الى ما قبل عام ۲۰۰۰ ق.م أو عام ۲۰۰۰ قبل الميلاد و وتطلق أسماء شتى على هذه الثقافات وهى جدور الحضارة المصرية وينابيعها ،

وحسبى القول أنه فى فترة تقع بين عـــــامى ٦٠٠٠ و ٣٥٠٠ قبل الميلاد انبعثت فى وادى النيل الأدنى أمــة متحضرة كونت دولة • وتم ذلك فى وقت كانت فيــــه أوروبا ومعظم آسيا الغربية لاتزالُ تسكنها جماعات مبعثرة من صيادى العصر الحجرى •

ومن الثابت أن مصر حظيت قبل عهد الأسرات بوقت طويل بقسط عظيم من الارتقاء الحضيارى ، انبعث فى الدلتا فى بداية الأمر ثم انتشر منها الى بقية أنحاء البلاد ويطالعنا من المنجزات الحضارية للتاريخ المصرى المبكر علم الكتابة ، والمكاييل والموازين والمقاييس ، والهندسية الممارية ، والنجارة والحسدادة والصياغة ، والغزل والنساية ، واختراع التقويم ، والنراعة الموجهة ، والعرف ، والكيمياء ، . .

وترجع تلك المنجزات الحضيارية الرائعة وغيرها الى انبعاث صغوة من المفكرين تحرروا من العميل اليدوى الزراعي بقضل وفرة المعاصيل لسخاء النيل على الأرض بالماء والطمى ، فأصبحوا علماء العسالم القديم وفنييه . وبالتالى ؛ نشأت بمصر أول طبقة مثقفة (انتلجنسيا)

واستطاع حكماء وادى النيل على مر السنين أن يتنباوا بحركات النهد ، والاحظوا اتفاق حدوث الفيضان مع بعض مظاهر النجوم ، وفي حين تحجب الغيوم الشمس والقمر والنجوم في البلاد الشمالية ، تتسم سماء مصر بالصغاء مما مكن علماءها من رصد النجوم والكواكب ودراسسة تحركاتها ، وقاد هذا المصريين للاهتداء عام ٢٣٦٦ قبسل الميلاد الى اعظم كشوفهم العلمية : التقويم الشمسي الذي

استجلبه يوليوس قيصر الى روما ومنها انتشر فى جميع أنحاء العالم • لكن أدخل عليه الرومان بعض التغييرات فى الشهور فجعلوا بعضها يزيد فى عـــد أيامه عن البعض الآخر ، بينما ساوى التقويم المصرى بين عدد أيام الشهود فجعلها ثلاثين يوما لكل شهر ، مع زيادة خمسة أيام فى نهاية السنة •

والى الصفوة المنقفة المصرية - وهى أولى مثيلاتها فى العالم كما قررنا - يرجع ابتكار نظام الرى الدقيق الذى ما مرحت مصر تسير على نهجه - فى جوهره - حتى الآن والى عبقريتها الفلة يرجع ابتكار نظامام دقيق للمواذين والكاييل ، واستخدام نظام عشرى منذ عام ٣٢٠٠ قبل الميلاد لاحصاء المحاصيل وقطعان الماشية وقياس الأراضى بعد الفيضان ، وبفضل تقدم العلوم الرياضية أمكن بناء بعد الفيضان ، وبفضل تقدم يرجع الى دورة النيل والى صفاء سماء مصر ،

وإذا كان التفويم الشمسمسي أعظم كشمسوف مصر الحضارية مد بعد الزراعة من الكتابة أعظم مخترعاتها : فإنه عندما تمكن المصريون من تبادل المعلومات بم الآراء عن طريق الكلمة المكتوبة ، قفزت البشرية خطوة جبارة في طريق التقدم الحضاري لانجد لها نظميرا الافي اختراع وسائط الاتصال اللاسلكي والحق ؛ ظل العمالم طوال مئات الآلاف من السنين يستخدم الصوت وسيلة وحيدة

للتنقيف الى أن عدمت العبفرية المصرية منذ سعة آلاف سعة الكتابة فتصبح أداة التثقيف وتنفتح أمام البشرية أبواب المعارف على مصاريعها ، ويتبادل العسالم الآراء في يسر وسهولة ويتم تسجيلها للأجيال القادمة للافادة من نعسار قرائح المفكرين على اختلاف عناصرهم وأجناسهم ، ولفسد ورثت أوروبا حروفها الهجسائية السستة والعشرين عن الرومان الذين أخذوا حروفهم عن المصريين بعد تعديل الحروف الهجائية المصرية بعسايوائم احتياجاتهم سأى الفينيقيين التجسارية ، ولقسد استقى المصريون الكتابة من بيئتهم وحدما مما يدل على أنهم لم يأخذوا الكتابة من بيئتهم وحدما مما يدل على أنهم لم يأخذوا الكتابة عن شعب آخر ،

وفي غضون فترة خمسمائة سنة تقريبا ، تقع بين توفى مينا عرش مصر وتولية خوفو ثانى ملوك الأسرة الرابعة ، حقق المصريون تقدما تكنولوجيا رائعسا لانجد له نظيرا الا فيما أنجزته البشرية خسلال المائتى سنة الأخيرة ، اذ استطاع المصريون خلال حكم الملك خوفو اقامة الهر، الأعظم الذى ظل قرارة خمسة آلاف سنة ... أى حتى أواثل القرن التاسع عشر ... أعلى بناء على سطح الأرض ، ويتكوذ هذا الهرم من مليونين ونصف المليون حجر ويواجه كل ضلع جهة من الجهات الأصلية الأربع فى دقة بالغية في عبد بناؤه قمة الحضارة المصرية ، فانه شاهد صدق على مدى توفيق الادارة المصرية فى تعبئة كفايات البسلاد

الفنية والاقتصادية والادارية لانجاز هذا المشروع الرائع وسبق بناء هيم خوفو أهرامات أخرى كان أولها هرم زوسر المدرج مؤسس الأسرة الثالثة ويعتبر هذا الهرم أول بناء حجرى في العالم ، وقد نال مهندسه المحتب شهرة عريضة فألهه المصريون واليونانيون القدماء ، وكان متعدد الكفايات حبى علقبه المؤرخون الأوربيون المحدثون بد وليوتاردو دافنشى ، مصر القديمة ،

ومهما يكن من أمر ما أجدته النصبارة المصرية على النشرية من منجزات مادية لاتزال تنعم بشمراتها احتى الآن! فان منجزاتها الروحية لأعظم من ذلك الأالم يبزغ فجر الضمر في مصر؟

الى عصور مادية الطابع ؛ العصر الحجرى على تقسيم التساريخ الى عصور مادية الطابع ؛ العصر الحجرى ، عصر البرونز، عضر الحديد ، عصر الآلات ، عصر الذرة ، بيد أن آخرين يرون أن العامل الروحى لايقل أهمية عن المادى ، ان لم يفقه ، وهذا مادعا المؤرخ العسالمي توينبي الى تفسيد الأحداث التاريخية تفسيرا استخدم فيه العساملين الماذى والروحاني على السواء ،

والمنجزات الحضارية المادية أقدم عهدا بكثير جددا من تطور البشرية الروحاني • اذ ترجع أولى آلات الأنسان المسادية الى أبعد من مليون سنة ، بينما لا يجساوز عمر منجزاته الروحية الحمسية الآلاف سنة ، وقد انبثقت في وادى النيل الأدنى ·

وتستمتع مصر بعزلة فريدة جعلت منها جزيرة وسط بحر من الرمال ، فأمكن سكانها تطوير حياتهم المسادية والروحية ، والارتقاء بهما على الرغم مما جابهته من اعتداءات البدو ومن اليهم من العناصر الهمجية أو الأقل تحضرا .

وليست مناك قوة أترت في مناحى نشاط الانسان القديم مثلما أثرت فيها عقيدته الدينية • فانها قد أثرت في اتجاهاته الفكرية والفنية ، وكان لها تأثير عارم في تطوير الفنون والآداب والعلوم • ولقد مرت العقيدة الدينية بمراحل تطورت في خلالها الى أن أصبحت على ماهى عليه ، ولم تكن للديانة علاقة بالأخلاقيات مثلما نشاهد في الوقت الحاضر •

ولقد قدس المصرى البدائى كائنات أحس أنها تعفوق عليه مثل الطيور والزواحف * كانك قدس الحيوانات النافعة * أقصد أن المظاهر الطبيعبة كان لها التأثير الحاسم في سلوكه : فكانت آلهته الأولى تلك القوة المسبطرة في ألعالم المادى ، ولم بعرك المحال السياسي أو الإجتماعى أو الروحى للاله ، وظلت فكرة الخير والشر والخطأ والصواب بعيدة عن ذهنه *

ولما تحققت وحدة البلاد الأولى حوالى عام ٤٢٤٠ قبل المنيلاد (على أرجح الأقوال) ، انبعثت الدولة المركزية وآصبح لها سلطان ملموس على عقول الناس ، وسيطرت على تصرفاتهم ومتجهاتهم ، وتجسدت هذه القوة في ذاتية الملك الذي غدا الها ذا أهمية بالغة في حيساة الناس ،

فالتطور السياسي قد أثر تأثيرا ضخما في تطور البلاد الديني ، كذلك تأثر الدين بالتطور الاجتماعي .

وتفسير ذلك أن نرابط أعضياء الأسرة تحت تأتير الاستقرار الذي فرضه النشاط الزراعي ، قاد الى شيوع التعاطف بين أفراد الأسرة الذين بأتوا يتجمعيون حول الوالد والوالدة • فلابدع أن يتجه الذهن المصرى لأن يجعل من آلهته عائلات تضم الأب والابن والأبناء ، وبخاصة أنه يلمس تلك المحبة وهذا الترابط الوثيق والتعاطف الأكيد بين النيل والأرض والنبات •

وفي طل اتحاد البلاد النقافي حوالي عام ٣٢٠٠ قبل الميسلاد ، انبعنت فكرة الحكم عن طريق القسط (أي المعاللة والحق = معات المصرية) وأصبحت دعامة الحكم المصري وعماده حتى الآن ولو انحرف عنها الحاكم (سواء أكان رئيس البلاد الأعلى أم حاكم اقليم أم مدينة أم قرية ، أم رئيس جماعة أي جماعة أم رب عائلة) انصرف عنه ولاء المحكومين والمرءوسين ولم ينل منهم سوى المحقد والكراهية وتربصوا به المدوائر ،

والحق ؛ لم يحدث أن ازدهرت أمور بلادنا وتحفق لها الأمن فشاع في ربوعها الرخناء ، الا في ظل كفالة أمرين :

الأول _ الحفاظ على ذاتية بلادنا وسخصيتها الميزة.

الثانى ــ التزام الحاكمين قواعد المدالة والانصاف والمحبة في علاقاتهم بالمحكومين ·

ويطالعنا فى هذا المجال أنه لما تداعى النظام الذى فرضه بناة الأهرام تحت ثقل الأعباء التى تحملها المجتمع المصرى ، عجز: عن صد غائلة البدو فتقوضت دعائم الحكم الصالح واستبيحت أركان العدالة ، فكيان أن انبعثت طائفة من المفكرين الاجتماعيين ألمعوا الى الفسياد الذى يسعود البلاد ، لكنهم لم يفقدوا الأمل فى ظهور « مخلص » ينقذ البلاد من الفساد الذى تردى فيه الحكم ،

وبالأحرى ؛ ظهرت فى كتابات الحكماء المصريين أولى بوادر عقيدة المخلص (العقيدة المسيانية) ومدارها الايمان بظهور شخصية قدسية على الأرض تعيد الى الأرض السلام وتقر العدالة بعد أن ملتت جورا وفسادا وفقرا ، ولعل دورة النيل مرجع هذه العقيدة : لأنه يعود بعد امحال ويؤوب جالبا معه الخيرات والبركات بعد جوع وعطش ، ومذه العقيدة المسيانية آمن بها اليهود بعد ذلك وما برحت محور تاريخهم وأسساس عقيدتهم الدينية ومؤداها ظهور

مخلص يمكنهم من اخضاع العالم لسيطرتهم • وهذا عكس رأى المفكرين المصرين الذين رنوا الى كفسالة العسالة الاجتماعية للشعب بأسره ، وأن تنهض بأعباء الحكم حكومة رحيمة على رأسها حاكم مصرى يكون للمصريين والدا قبل أى شيء آخر *

فاذا كانت وحدة مصر السياسية قد أبورت الى ميدان التاريخ المصرى الملك الحاكم القوى الذى لامعقب لحكمه ، فلقد أنبعث فى المجتمع المصرى عصر يبدأ قبل عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد تجلت فيه شخصية الملك العادل ، كما بورت بالمثل فكرة الله يقيم القسط بين عباده ولا يبطش بهم وفق تزواته ، على غرار ماتنبئنا التوراة عن أفعال « يهوه » اله اليهود بهم ،

ولقد اتسمت فترة القرن السادس عشر قبل الميلاد وما بعدها بامتداد نفوذ المالم المصرى ، وتلا ذلك تضخم الأفق السياسي واتساع نطاق الفكر الديني ، وتابع التطور الفكري مجراه الى أن بلغ ذروته بعد عام ١٤٠٠ قبلل الميلاد بانبعاث أول مذهب للوحدانية الالهية عرفه التاريخ، وأطهرت الفترة ١٤٠٠ قبل الميلدد كثيرين من الحكماء المفين أثروا في الفكر الديني اليهودي تأثيرا عادما ،

وبالأحرى ؛ كانت مصر طوال ثلاثة آلاف سنة (من عام عام ٤٠٠٠ هـ ١٠٠٠ قبل الميلاد ، بمثابة مشتل ترعرعت

فيه القيم الروحية والفكرية التي تســـامت بالبشرية ، ولولاها لتجمد الفكر البشرى وأصبح الطعام شغل الانسان الشاغل • فالمصريون قد اقتبسوا المثل العليا من الطبيعة المدية ، ووفقوا على مر الأحقاب الى احالة المظاهر المــادية الى معنويات والى قيم تجريدية •

وتتبلور المظـــاهر المـــادية في الطبيعة المصرية في . ظاهرتين أساسيتين :

الأولى: الشمس بـ أي الاله رع .

الثانية: النيل ما ويتمثل في أوزير رب الخضرة و ولايزال كامنا في أعمال النفسية المصرية حتى الآن ، ويستخدم عاملة المصريين اسم « سيدنا الخضر » للدلالة علمه و . . .

وسنفصل في الأبواب التالية ما أجملناه في هذه العجالة ·

الفصل الثاني:

تكوين الحضارة المصرية

ليست البيئة في رأى العلامة آرنولد توينبي هي العامل الايجابي في قيام الحضارات ، وان كانت بلا ريب عاملا عظيم الحطر في التشكيل الثقافي ، اذ لايزال هناك عامل لايمكن تحديده : سيكلوجي في طبيعته ، وهو أهم عوامل انبعاث الحضارات وأشدها ارتباطا بالقضاء والقدر ، واستخلص الأستاذ توينبي من دراسيته فكرة مؤداها أن الانسان قد حقق الحضارة ": لا نتيجة لمواهب بيولوجية ، ولكنه حققها استجالية لتحدى موقف ذي بيولوجية ، ولكنه حققها استجالية لتحدى موقف ذي صعوبة خاصة استنار الانسان لبذل جهد ما ، لم يبذله من قبل ، وكان انبعاث الحضارة المصرية وتكوينها أوضد حمثال ساقه تأبيدا لوأبه :

فبينما كان الملج يغطى أوروبا الشمالية حتى جبال الهازر (١) وكانت الثلوج تتوج جبال الألب والبرانس ؛ عمل الضغط العسالي للقطب الشمالي على احسالة الزوايع المطرية بجاه الجنوب، وكانت الأعاصيب التي تخترق أوروبا الوسمسطى تمير في ذلك الوقت فوق حوض البحر الأبيض المتوسط وشمال الصحراء الكبرى وتسلقط في طريقها دون أن تعتصرها حيال لينهان مارة عبر العراق وبلاد العرب الى فارس والهند • فكانت الصحراء الجدياء تنعم _ في ذلك العهد _ بهطول الأمطار بانتظام ، وكانت الأمطار في المنطقة الأبعد من ذلك شرقا أعظم غزارة مما هي عليه الآن ، بل وموزعة على مدار السنة كلها ولا يقتضر سقوطها على فترة الشتاء كما هو الحال في الوقت الحاضر.' وتبعا لذلك يتوقع ازدهار الحداثق والأحزاش في شمال أفريقيسا وبلاد العرب وفارس ووادى السسند على غراز ازدهارها اليوم في شمال البحر الأبيض المتوسسط . وبينما كان الماموث والخرتيت المسيعر والونة ترعى في فرنسا وجنوب انجلترا ، كانت تعيش في شمال أفريقيا حيوانات توجد اليوم في منطقة الزمبيزي بروديسيا . وكان من الطبيعي أن تكون المراعي البهيجة في شـــمال

⁽۱) أقمى سلاسل جبال المائيا الفربية وتمتد بين نهرى ويرر والالب وتبلغ مساحتها حوالى ٧٨٨ ميلا مربما ١٠ ولقد خلدها الشاعر العظيم جوته في قصته ٥ قاوست » .

أفريقيا وجنوب آسيا كثيفة السكان مثل سهول أوروبا الحالية وبديهي أن يحرز الانسان في ظل هذه البيئة المراتية تقدما أعظم مما يحرزه زميله المحصور ببن الثلوج بيد أن المنطقة الأفراسية (أي الأفريقية الاسيوية) قد الحنت عقب نهاية العصر الجليدي ، تكابد تغيرا في أحوالها الطبيعية مبناه اتجاهها نحو الجفاف وازاء الجفاف التدريجي الذي ترتب على تحول الأمطار صوب الشمال (وذلك كلما تقلصت جبال أوروبا الثلجية) أصبح على سكان الهضبة الليبية الصيادين الذين تأثروا بهذا التغيير أن يختاروا أحد أمور ثلاثة:

الأول ـ التحرك نحو الشمال ـ أو الجنوب ـ مع صيدهم متتبعين المنطقة المناخية التي ألفوها ·

الثاني - البقاء في أماكنهم الأصلية التي تحولت الى أراض جدباء و يعني هذا أن يعيشوا حياة تعسة مكتفين بما يصيدونه من الحيوانات التي تقاوم الجفاف •

الثالث - البقاء في مواطنهم والعيش عن طريق استثناس الحيوانات ·

أما أولئك الذين عزفوا عن تغيير مواطنهم بتعسديل طريقة معيشتهم وبتحويل أنفسهم من صيادين الى رعاة ، فقد أصبحوا بدو الصحراء الأفريقية ·

وأما أولئك الذين آثروا تغيير مواطنهم على تعديل

طريقة معيشتهم (أى تلك الجماعات التي تجنبت الجدب باتباع منطقة الأعاصير في تحولها شمالا) مغرضين أفسيم عن غير قصد الى تحد جديد: أى تحددي البرد الموسمي الشمالي الذي لم تستسلم له تلك الجماعات ؛ فقد أثارت فيهم بيئتهم الجديدة استجابة خلاقة جديدة •

بينما وقعت الجماعات التى تجنبت الجدب (وذلك بالارتداد جنوبا الى منطقة الرياح الموسمية) تحت التأثير المناخ المدارى الذى لايتغير •

وأخيرا ؛ تمة جماعات استجابت لتحدى جفاف مواطنها الأصلية بتغيير مواطنها وطريقة معيشتها معا • وكان رد الفعل هذا المضاعف النادر هو العمل ذا الطاقة السدانقة السندى خلق الحضارة المصرية بين ظهرانى المجتمعات البدائية التي كانت تعيش في المراعى الأفريقية السائرة في طريق الزوال ، تحت تأثير الجفاف الذي ترتب عن تحول مجرى الرياح ، كما مر بنا •

ولقد تمثل التغير في طريقة معيشة الجماعات الخلاقة في تحولها الشامل: من جامعي طعام وصيادين ، الى زراع ولم يكن التغير من ناحية المسافة كبيرا ، اذ الحسدر الصيادون – السابقون – من الهضبة الليبية الى وادى النيسل ؛ لكن النغير كان هائلا ان قارنا الاختسلافات الطبيعية بين المراعي التي هجرها أولئك الصيادون لجفافها وبين بيئتهم النهرية الجديدة التي استقروا فيها «

وكان وادى النيل الأدنى عند استقرار الرواد أجداد المصريين الأبعسدين يختلف اختلافا تاما عنه في الوقت الحاضر و اذ كان المطر يسقط عليه بغزارة وكانت الدلتا (مستنقعا) يفيض بالمياه و يحتمل أن النيل الأدنى في جزئه الواقع فوق الدلتا كان يشابه بلاد النيل الأعلى عند بعر الجبل في المديرية الاستوائية بالسودان وان الدلتا نفسها كانت تشابه المنطقة التي حول بعيرة نو حيث تمتزج مياه بحر الجبل بمياه بحر الغزال ولكن بينما استطاع للرادة البشرية فاختفت بفضل جهودهم مستنقعات الأدغال وحلت محلها مجموعة منسقة من القنوات والمدرجات والحقول وذلك بفضل استجابتهم لتحدى البيئة والمحدة

فان أسلاف قبائل الدنكا والشلوك والنوير الحاليين قد افترقوا وقتداك عن جيرانهم الشماليين رواد الحضارة المصرية ، وذلك باتباعهم أقل السبل وعورة ، اذ استقروا في السودان المدارى في نطاق منطقة الأمطار الاستوائية ، ولا تزال سلالاتهم تعيش هناك ألى وقتنا هذا نفس معيشة أسلافهم الأبعدين ،

اذ لاشك في أن تلك القبائل النيلية - وأصلها يرجع الى الهضبة الليبية كما يقسر توينبي - تتصل بالمصريين القسدماء من حيث المظهر والقد ونسب الجمجمة واللغة ، وتنتظم في شمائر طوطمية • ويبدو كما لو أن التطور الاجتماعي بين هذه القبائل المقيمة على ضفاف

أعالى النيل قد توقف عند المرحلة التي عبرها المصريون قبل أن يبدأ تاريخهم ·

ويختلف المؤرخون هي أصل الصريين وفي منسأ المحنس الصرى مهن قائل انهم من عنصر هندى _ أوربي مستدلا على ذلك بتماثل مقاييس جمجمة المصرى واالهندى المهنجابي ويميل الأستاذ ماسبيرو الى اعتبار أفريقيا موطن الجنس المصرى ويؤكد الأستاذ سيرجى أن الجنس الأبيوبي وموطنه أعالى النيل هو أصل جنس البنحي الأبيض المتوسط بأسره ومنه الفرع المصرى وأنه انتشر شسمالا واستولى على جنوب أوروبا وغيرب آسيا و ويعتقد الأستاد فلندرزيرى بالأصل المشترك للمصرين والفينيقين و

أما الأستاذ توينبي (١) فاقه وان جعل من الاستجابة لتحد مادى أو معنوى أساس قيام الحضسارات ، فاقه لا يغفل أهمية الجنس في التكوين الحضارى ، ومن رأيه أن انبعاث الحضارات يتطلب مساهمة أكثر من عنصر مساهمة تتسم بالابداع ، ويعتبر هذا الرأى قانونا يستدل على صحمه بتكوين مصر الحضارى ، فان ثقافة البدارى التي بدأت خلال القرن الستين قبل الميلاد قد أقامها جنس أبيض من أجناس البحر الأبيض المتوسط لكن لاتخلو دماؤه من أجناس البحر الأبيض المتوسط لكن لاتخلو دماؤه من تأثير زنجى ، وورثت نقافة البدارى نقافة أخرى لجنس

⁽¹⁾ صفحة 131 من الجزء الاول من موسوعة «دراسة للتاريخ» للاستاذ تويَّتينَ م ٰ

أشد التصاقا بجنس الأبيض المتوســـط ويتسم بتأبو بجنوب غربى آسيا : تأترا يظهر خاصة فى الفن والعقيلة الدينية • ويخلص الأستاذ توينبى من بحثه للقول بأن ثمة أربعة عناصر على الأقل هى التي تكون منها الجنس المصرى الذى أبدع هذه الحضارة الخالدة :

الأول - عنصر أبيض متوسط يعتبر عنصر البسلام الأصمل . .

الثنائى - عنصر زنجانى(١) وقد الى البلاد من الجنوب. الثنائث - عنصر أبيض منوسط وقد من الشمسمال الغربي (أي من الصحواء الليبية) .

الرابع - عنصر قوقازى وفد من السمال الشرقى (أى من الهضبة الإيرانية) •

ومهما يكن من أمر منشأ الجنس المصرى وتركيبه المعنصرى ؛ فلا شبهة في أن بيئة مصر ومناخها قد فرضا على سكانها نمطا من الحياة وأسلوبا من المعيشة أم بتغير منذ بداية تكوين الحضارة المصرية حتى الآن ، فكان أن انصهرت جميع العناصر والأجناس في يوتقة البيئة المصرية ،

ومن المؤكد أنه وان غـير المصريون لغتهـــم مـــرة

⁽۱) زنجانی : سبیه بالزنجی ،

وعقيدتهم الدينية مرنين ؛ فلا يختلف المصرى الحالى من الناحية العنصرية عن أجداده القريبين والأبعدين فى قليل أو كثير للأسباب التالية أساسا :

أولا _ تعتبر مصر جزيرة تحميها مياه البحر شمالا والصحراء غربا وجنوبا • أعنى كان عدد الوافدين اليها سواء بالهجرة أو الغزو محدودا للغاية بالقياس الى عدد السكان • وحسبى القول ان جنود الفتح العربى نفسك لم يجاوزوا الستة الآلاف بينما تراوح عدد السكان بين عشرة ملايين واثنى عشر مليونا •

ثانیا ما مابرحت الزراعة مصدر العیش الأساسی • ومن ثم لامناص للوافد من أن يحترف الزراعة ، فيذوب في المجتمع المصرى على طول المدى •

ثالثاً ـ كان المصريون أعلى ثقافة بما لا يقاس من جميع غزاتهم والوافدين عليهم ، وبالتالى خضــــعوا لمفهوم مصر الحضارى ومنحاها التفكرى *

وابعا ـ كان المصريون يأنفون من الاختلاط بالأجانب لأنهم ـ أى المصريون يختلفون عن سواهم من أجناس العالم: يحرمون أكل الحنزير ، كما يمارسون عادة الحتان •

ويفرر الأستاذ توينبي أن دراسة المجتمع المصرى الفديم تفصح عن حفيقة مؤداها أن ربع فترة حياته وفي بداية وبقدرها بأربعة آلافسنة _ يعتبر فترة نماء • وفي بداية

الامر نجلت القوة الدافعة فى السيطرة على بيئة طبيعية على جانب هائل من الصعوبة: فأمكن تطهير مستنقعات الغاب وصرف مائها تم زراعتها، وهي التي كانت تشغل أصلا الوادى الأدنى ومنطقة الدلتا وكانت نصد الانسان عن زراعتها زراعة مثمرة •

ثم ظهرت طاقة هذه القوة الدافعة المطردة في التوحيد السياسي المبكر للعالم المصرى في نهاية عصر يعرف بعصر ماقبل الأسرات، وبلغت أوجها فيما أنجزته الأسرة الرابعة من الأعمال المذهلة ويعتبر عصر الأسرتين الرابعة والخامسة ذروة ماحقفه المجتمع المصرى من مآثر لا يشاركه فيها غيره متل ننسبي العمل البشرى في المشروعات الهندسية الكبيرة التي تتسلسل من استصلاح المستنفعات الى تشسيب الأهسرامات وكذك يمنسل هذا العصر المسنورة في الفن بل وفي محيسط الدين نفسه حيث تتولد الحكمة من الألم ووخسز الضسمير فان مايدعي نصسوص الأهرام يتسسهد بأن هذا العصر قد رأى أيضا منشأ حركتين دينيتين : عبادة الشمس وعبادة أوزيريس واصطدامهما ، والمرحلة الأولى في التفاعل بينهما ، وهما العبادتان اللتان بلغتا نضوجهما وسينها وسيدة المناس بينها وهما العبادتان اللتان بلغتا نضوجهما وسينها وسيدة المنسلس بينها وسينها وهما العبادتان اللتان بلغتا نضوجهما وسيدها وسيدة الشمس بينها وسينها وهما العبادتان اللتان بلغتا نضوجهما وسيدها وسينه المناس المناس المناس المناس المناس المناس المناس والمرحلة الأولى في التفاعل بينها ومهما العبادتان اللتان بلغتا نصور المناس المن

م كان أن انقضت الذروة وبدأت مرحلة الانحلال في فترة الانتقال بين الأسرتين الخامسة والسسادسة (٢٤٢٤ قبل الميلاد) وههنا يبدأ تعرفنا على الأعراض المألوقة : فان تفتت المملكة المصرية الموحدة الى عدد من

دويلات صغيرة في حرب متصلة بينها ، يحمل الطابع الذي لا يخطى الخاص بعصور الاضطرابات ؛ ولقد تلت عصر الاضطرابات المصرى حوالي ٢٠٧٠ قبل الميلاد حولة عالمية أنشأتها العائلة المالكة المحلية في طيبة وعززتها الأسرة الثانية عشرة حوالي ٢٠٠٠ _ ١٧٨٨ قبل الميلاد ودالت الدولة العالمية بعد الأسرة التاسية عشرة وغزا الهكسوس مصر ، لكنها استطاعت ردهم واستعيدت الدولة العالمية المصرية وعاصمتها طيبة ، وتعتبر هذه الاستعادة المعلنة الوحيد ذا المغزى في التاريخ المصرى ، باستثناء ثورة أخناتون ،

واذا ما انتقلنا الى دراسة التاريخ الدينى المصرى . وللعقيدة الدينية أهمية قصوى فى تكوين المجتمع المصرى وتطوره الحضارى ، الغينا نزعتين متنافستين :

الأول - ديانة أوزيريس وقد وفدت من الدلت . وأوزيريس هو اله ذو طبيعة أرضية وما تحت الثرى . أى أنه يمثل روح الانبات التى تظـــهر فوق الأرض وتختفى تحتها على التعاقب .

الثاني _ السمس _ اله السماء .

ولقد ارتبط هذا الصراع اللاهوتي بالنزاع السياسي والاجتماعي بين قسمين من المبتمع الذي انبعثت فيه العباد. بل ولم يكن هذا النزاع في الواقع الا تعبيرا لاهوتيا عنه وكان كهنة أون (هليوبوليس) مسيطرين على اله الشمس (رع) وكانوا يصورونه بصورة الفرعون • على حين كانت عبادة أوزيريس ديانة شعبية •

فكان النزاع الديني ــ من نم ـ نزاعا بين دين رسمى للدولة وديانة شعبية تجتذب الانسسان المؤمن • وأهم فارق بين الديانتين _ في شكليهما الأصلين _ هو الفارق بين المصير بعد الموت اللذين وعدا بهــا عبادهما • فمن ناحية ، كان أوزيريس يحكم جماهير الموتى في عالم الأشباح تحت الأرض ، أما رع فكان على استعداد لأن يفتدى أتباعه من الموت ويرفعهم أحياء الى السماء • لكن هذا البعث كان قاصرا على القادرين على دفع الثمن • وكان في ارتفاع متصل، حتى لقد أصبح الخلود الشمسي في الواقع احتكارا للفرعون وأولئك الأفراد من أعضاء بلاطه الذين يسهم هو باخساره في معدات خلودهم • وما الأهرامات الكبرى الا نصب هذا المسمعي لكفالة الخلود الشخصي عن طريق الافراط في البناء • وكانت ديانة أوزيريس في هذه الأثناء تزدهر ! فانه رغما عن ضآلة الجلود الذي تعد به عبادها ــ ان قورن بالاقامة في سماء رع العليا _ الا أنه كان العزاء الوحيــ ا الذي في مكنة الجماهير التطلع اليه •

فكان المجتمع المصرى ــ والحالة هذه ــ ينقسم الىاقلية مســـيطرة ، وجماهبر حاشدة · ولقــــد أدرك كهنة أون (هليوبوليس) هذا الخطر فحاولوا جب تأبير أوزيريس عن طريق اشراكه مع رع · لكن أوزيريس استحوذ لجماهير البشر على الطقوس الشمسية للخلود الالهي ·

وأهم أثر لهـــذا التوفيق الدينـــى بين العقيدنين يتمثل فى « كتــاب الموتى » وهو مرســـد كل فرد الى الخلود الذى اتجهت اليه نفوس جميـــع أفراد المجتمع المصرى ، وقد ســاد هذا الكتـاب حيـــاة المجتمع المصرى الدينية طوال مدة نهايته التى دامت ألفى سنة ، وسيطرت عليه فكرة أن رع ينشد العدالة أكثر من رغبته فى الأهرمات ،وبدأ أوزيريس كقاض فى العالم السـفلى يرسل الموتى الى المصائر التى تستحقها حياتهم على الارض .

ولقد ابتكر الملك اختاتون معنى جديدا للاله والانسان والحياة والطبيعة وعبر عنه في فن وشعر جديدين وسعى من وراء ابتكاره هذا الى أن يكرر دوءة واحدة - الابتداع الدينى الذي قامت به دون جدوى الديانة الأوزيريسية وهي ديانة الشعب وهي ديانة الشعب و

واذا كان التطور الدينى قد تم أساسا فى شــمال البلاد فان الجـنوب (وأعنى جنوب مصر العليا) قد أبرز على مدار تاريخ الحضارة المصرية ، قوة وجهت خط سيره فى مناسبات ثلاث على الأقل :

الأوثى : توحيد البلاد ــ للمرة التانية ــ حوالى عام ٣٢٠٠ قبل الميلاد • الثنانية: اقامة الدولة العالمية خلال أعوام ٢٠٧٠ ـ الثنانية : اقامة الدولة العالمية خلال أعوام ٢٠٧٠ ـ

الثالثة: طرد النسزاة البدو الهكسوس واسستعادة الدولة العالمية حولى عام ١٥٨٠ قبل الميلاد ·

وفى الواقع ، تعتبر هذه المقاطعة من العسالم المصرى همنستلا » للامبراطوريات المصرية · وهى الحد الجسنوبي للعالم المصرى الذى كان معرضا لضغط بلاد النوبة · على أن القوة السياسية قد انكفأت الى الدلتا خلال الجزء الأخير للتساريخ المصرى ، أى الستة عنبر قرنا منسذ انهسياد الامبراطورية الحديثة وتضعضع المجتمع المصرى فى صورته التقليدية فى ابان القرن الخامس بعد الميلاد ، مثلما دأبت على الانكفاء الى الحد الجنوبي خلال الألفى سنة السابقة ،

وسنغصل ما أجملناه فيما بعد .

الفصل الثالث

خصائعاللفكرالديني فخ*ب مصرا*لقذيمة

تعدد الآلهة وتمثيلها في أجسداد آدمية ورؤوس حيوانات أو طيور ، أعظم ما يحير الباحت في شدون الحضارة المصرية عامة وعقيدة قدماء المصريين الدينية خاصة ويدفعه هذا للتساؤل عما يقود شدعبا بلغ ذروة التفكير الحضارى ، للايمان بهذه الأنواع من الأرباب والاستمساك بها آلاف السنين .

بيد أنه لا يخفى أن المصريين قد وجدوا في عفيدتهم الدينية القومية العزاء الروحي الذي طالما افتقدوه في ابان المحن التى ألمت ببلادهم · بل لقد جعلوا من هذه العقيدة أيدولوجية تبث فيهم طاقة دافعة للحفاظ على الأصـــالة والذاتية القوميتين ·

وبه حقيقة لا تمسارى مبنساها أن العفيه الدينية المصربة لم تكن جامدة قط ، اذ تأثرت بالأحوال الاجماعية وديدنها التغير ، وكانت العقيه الدينية في طور مستمر ، ولا يخفي أن مصر القديمة تألفت حقبل تحقيف الوحدة حمنعدد كبير من الدويلات تستقل احداها عن الأخرى ، ولكل رئيس ومعبود خاصان ، ولم يكن لمعبود الدويلة نفوذ الا داخل منطقته ، فأن نشبت الحسرب بين مقاطعة وأخرى اعتبرت حربا بين معبودها ، فأن تحقق النصر لدويلة سادت عبادة معبودها وأن هزمت ضعفت عبادته أو زالت ، فأن تحقق اندماج مقاطعة بأخرى سلميا الدمج معبودا المقاطعتين ، اما في صورة زوج وزوجة أو أب

واذالة للبس ؛ يمكن تقسيم أرباب مصر القديمة الى أربع مجموعات :

۱ _ أرباب محلية مثلت بأجساد انسانية ورؤوس حيوانية ·

٢ ـ أوزير والأرباب الموافقة له ٠

٣ ـ أرباب لاتقام لها معابد وتنتسب الى الفرعون
 نفسه •

٤ ــ الشنمس وغييرها من الأرباب ذات الأصيل
 الشنمسي •

ويعتبر آمون رب طيبة أعظم الآلهة المحلية وقد تطور من رب قرية صغيرة الى أن أصبح الاله الأعظم للمالم المعروف وقتذاك وكان يمثل حفالبا حفى هيئة كبش وارتفعت أهمية آمون بارتفاع قدر قريته التى أصبحت عاصمة البلاد عند قيام الاسرة الحادية عشرة ، وفيها ابتنى منتوحتب الثالث هرما وشيد حوله معبدا وحمل كتير من فراعنة الأسرة الشانية عشرة أسماء تضم اسم آمون ، مما رفع قدره فأصبح أهم معبودات مصر وظلل نجمه فى صعود متصل طوال حكم الدولة الحديثة فشيدت له المادد ورصدت شدمتها الأموال ، وبفضل قيام الامراطورية ، ورسات آمون بد « رب الأرباب ، سيد السادة ، وملك الملوك ،

وعلى الرغم من اعتبار الفرعون ... من الوحهة الرسمية ... ابن الشمس فقد ساد الاعتقاد بين العامة أنه الابن الجسدى للاله آمون ، وأدخل الكهنة المصريون فى ذعن الاسكندر الأكبرنفس الفكرة وأمن بها ملوك البطالسة .

ومن الآلهة المحلية التي أصبح لها شأن في العقيدة المدينية المصرية : باست (القطة) وكانت تعبد في الأصل عدينة بوباست (تل بسطه) • وقد حل الرومانيون عبادتها الى ايطاليا ، ولاتزال آثار تقديسها قائمة في معظم بلاد البحر الأسض المتوسط •

وهناك الرب « حجوتى ــ توت » اله الكتابة والسحر والثقافة عامة ؛ وكان يعتبر رسول الآلهة ، وتعزى اليه كتابة اثنين وأربعين مجلدا تتضمن حكمة العالم بأسره ، واعتبر رب القمسر وقدسه اليونانيون وطابقوه مع ربهم . « هرمس » ،

وتعتبر عبادة العجل أبيس من أقسام العبادات المحلية واعتبره المصريون تجسيد اله النيسل (والاسم المصرى لأبيس موحانى) نم طابقه المصريون مع الاله أوزوريس و واللمسج أبيس في عهد البطسالمة مع أوزوريس ليصبح ربا شاعت عبادته في جميع أنحاء البحر الأبيض المتوسط واطلقوا عليه سيرابيس الاب، واعتبروا ايزيس الام وحوريس الابن و

وتمة ظاهرة في تاريخ الأديان مدارها أن العقيدة الدينية تنبثن عن الأرباب المحليين ،ويتطور الفكر الديني وطقسوس العقيدة بمرور الايام ، بمعنى أن تقدم المعرفة يعمل على تطور الفكر الديني ، ونتبين هذا بالنسبةللفكر الديني ، المصرى من استعراض الحقب التالاث التالية التي مر بها :

الأولى _ حقبة ما قبل التاريخ _ خلال عصر قد يكون مده أو ١٠٠٠ قبل الميلاد • وأدخلت خلالها عبادة الآله الذي ينهض من بين الاموات • وحلت الحقبة نتيجة للتقدم الزراعي ومعرفة الدورة الزراعية والاهتداء الى القمح وابتكار صناعة الخبز بالذات • وقد تطورت هذه العبادة الى عقيدة

أوزيريس · وبفضل هذا التقدم الاقتصادى والاجتماعى · اختفت عادة التضعية البشرية تقربا لاله الخصب ·

الثانية - حقبة وحدة البلاد الأولى ثم الثانية • وقد قاتل الملوك الأواثل تعتلواء الاله الصقر (حوريس) اقواما كان شعارهم التمساح أو فرس النهر أطلق عليه اسمسم سيتيخ (ست) • ونسجت من هذه المسارك أسطورة حوريس وست ، ثم أدمجت فيها أسطورة الاله الميت الحي أوزيريس ، فتكونت من الاسطورة بن أسطورة واحدة •

الثالثة _ بدأت في عهد الأسرة الثالثة أو الرابعة وتألقت خلالها عبادة الشمس التي أصبحت خلال الأسرة الحامسة امتيازا خاصا بالفرعون وبيته وحاشيته وكبار رجال الدولة • ثم تطورت في عهد الملك اختاتون الى وحدانية سامية •

وبفضل اندماج الأشكال المختلفة للدين أو تصادمها انبعثت آرامجديدة عن الالهوعن الصلة بينه وبين الانسان وهذا ما يتضمح للباحث من دراسة عبدادة أوزيريس وطقوسها فانها أهم العقائد الدينية المصرية لانتمائها الى جميع فئات المجتمع المصرى وطبقاته ، كما نجد منعاها الفكرى في كثير من البلاد الأخرى ومداها الآله المتجسد في انسان ، وغالبا ماتلازمها طقوسي مصرع هذا الانسان الالهي الذي يختاره القدر لتأدية هذا الدور ، وهو في جميع الأحوال ملك ، وفيه تكمن روح الاله فيصمع الالساني متجسدا ، وتغدو روح الاله الكامنة في الجسد الانساني المختار هو روح الاله الكامنة في الجسد الانساني المختار هو روح الحالق مانح الحباة ،

وللانسان الذى تجسد فيه الاله قدرة اضفاء الخصوبة على الأرض ، وههنسا يغدو الملك فى أعين رعاياه هو الاله يننصب فى دنيا الناس حبا لهم ، واذا كان البدن ليس خالدا والروح ليست بالضرورة خالدة ، فالكائن الالهى نفسه ليس خالدا واذا كانت حياة شعبه ورخاؤه يرتبطان به ، فان تعرضه للموت يعرض شعبه للدمار ،

ولذلك اتجه التفكير المصرى الى اصطناع فكرة البعث.

فالتفكير المصرى قد جعل من الشمس الها أعظم ، ظلت له السيادة على اللاهسوت المصرى حتى جاءت المسيحية • وتطورت أسطورة رع اله الشمس وفق البيئة الجسديدة التى تناولتها والتى رويت عنها ، وكانت مدينة عين شمس الحالية ساى أون الفرعونية) مهد أسطورة اله الشمس •

لكن طرأ تطور هائل على العقلية الدينية المصرية بفضل تحول المصريين الى فلاحين وكسفهم زراعة القمح وصناعتهم الخبز • اذ لاحظوا النبات يموت ثم يحبا من جديد ، فكان أن الهوا فكرة الانبات • وقادهم التفكير والمشاهدة الى نتيجة مبتاها أن الاله يعيش ، ثم يموت ، ثم يبعن من جديد •

وانتشرت الفكرة فى أنحساء الشرق الأوسط فاتخذ أوزيريس اله الانبات المصرى اسم تموز وآدونيس • وبالتالى، تعتبر عقيدة أوزيريس استجابة دينية لانتصار ثقافة الزراعة على ثقافة الرعى •

وطبيعي أن يفرن التفكير المصرى بين أوزيريس ومياه

النبل باعتبارها جوهر الخصوبة وأسساس الحباة ، لاسميما في بيئمة مصر الجمافة ، أي أن أوزيريس هو الحضرة بعامليها : الماء (وبخاصة أوفات الفيضان) والارص الحصبة • ويقترن أوزيريس بالنيل بصعة خاصة ، باعتباره أعظم مناطر الطبيعة المصرية وأشدها أتارة وعلى مرور الأيام : جعل المصريون منه بشرا الهــا تولى أمور مصر والى جانبه اخته وزوجتــه «ایزه» (أی ایزیس) تحمیه و تــدفع عنه أعداءه ، لكن أعداءه بقيادة أخيه «ست» (رب السر) وضموه في تابوت والقوه في النيل ، لكن عثرت عليه زوجته الوفية في نهاية المطاف وكفنته بمساعدة أختها نفتيس • ثم كان أن نبتت شجرة جميز ظللت جسده: وبفضل دعوات ايزيس عادت اليه الحياة ، لكن ظف ـ ب به ست الشرير وقطعه اثنتين وأربعين قطعة يعترها في أنحاء مصر ٠ لكن ايزيس جمعت القطع المتناثرة وكفنتها ٠٠٠ وأخيرا حملت منه بالروح ، فأنجبت هحور، (حوريس) الذي حارب عبه الضال وانتصر عليه وتولى حكم مصر وتسلاه وراعنة مصر الواحد تلو الآخر ٠

وألهبت عقيدة أوزيريس مشاعر المصريين ، فرسموه في صورة السهيد ضحية الظلم والحقد ، كما صوروا أيزيس في صورة الزوجة الوفية وجعلوا منها رمزا للأمومة الخالدة ومن حور رمزا للكفاح في سبيل رد الحقوق المغتصة والابن البار بأبيه ٠

و سربت اسمطورة أوزيريس وايزيس الى معظم العقائد والأديان في أشكال وصيور شتى • وأثرت في آداب الأمم المختلفة بما تعنيه من انتصار الحير على الشر ، وان طال الأمد • وما هذا كله في واقع الأمر الا العكاسر تأثير خضرة النبات على أفكار المصريين •

وانتشر هذا التأثير الى أنحاء البحر الأبيض المتوسط، فساعت عقيدة ايزيس الأم العظمى ومنه انتقلت الى أنحاء العسالم المتحضر ، وغدت عقيدة شسعبية ابتلعت العقائد الارستقراطية وفي مقدمتها عقيدة الشمس التى اندمجت في العقيدة الشعبية كما قررنا من قبل .

ويذكرنا الصراع القسديم على ضاطى النيل بين اله الشمس ورب الانبسات بالصراع الذي حدت في بداية المسيحية بين عبادة الامبراطور الروماني باعتباره تجسيد اله الشمس ، وبين عبادة يسوع عليه السلام .

ومهما يكن من الأمر ؛ فان الحاقدين على نسامي مصر الحضاري يسعون للانتقاص من مفاخر مصر الحضارية بالادعاء بأن المصريين القدماء قد جعلوا من الحيوانات والأشياء آلهة • وهذه فرية باطلة : اذ يستحيل على العقل مهما كان بدائيا أن يعتبر الأشياء والحيوانات أوحتى الكائنات الحية الا مجرد ظواهر مرئية ، أو مقر قوة ربائية تجريدية • فالمصريون – كغيرهم من الناس – قد ناشدوا الاتصال بهذه القوة القدسية ، فكان أن وقع اختيارهم على طائفة من الأشياء ذات الصفات الخاصة التي تقع تحت أيسارهم ظائين أنها خير وسيلة تكفل مبتغاهم • وان كان المسارهم ظائين أنها خير وسيلة تكفل مبتغاهم • وان كان لا ينكر أن الفلاحين قد عجزوا عن ادراك الطابع التجريدي

على حقيقته مثلما تدركه الصفوة المتقفة ، فلم يجاوز تفكيرهم الجوانب المادية وحدها والنهم في هذا الشأن كأمثالهم في جميع العصور والأمكنة ، ولا استثنى العصور الحديثة-

ومن الناحية الأخرى اقتضى الفن المصرى ـ وله أهمية بالغة فى المجتمع المصرى ـ تجسيه الفكرة الالهية وتمثيلها فى صور مادية تحيل الصور الذهنية الى رسوم مرئية أقرب الى فهم عامة الناس بالذات ـ وبيئتهم زراعية ـ وليس المصريون بدعا فى هذا السبيل •

وتطالعنا فى التفكير الدينى المصرى قاعدة أساسية مدارها أن الذهن أو الفكر هو مصدر كل شىء ، وأن الكلمة الملفوظة واسطة المنهن ليصبح طاقة خلاقة ، والكلمة هى التى تعلن الفكرة وتسبغ الواقعية عليها ، وبالتالى يتخذ الفكر بفضل الكلمة وجودا موضوعيا ،

وهذه : الفكرة تبدت للعقل المصرى قبل توحيد مصر السياسى بوقت طويل جدا • ويطابق الفكر الديني المصرى بين الاله وبين الذهن (ويعبر عنه بالقلب في المخطوطات المصرية) الذي يفكر ، وبين اللسان الذي ينطق • ويتسامل العالم الكبير جيمس بريستد عما اذا كنا تلمح ههنا الاساس القبتاريخي (١) لمذهب الكلمة الوارد في العهد

 ⁽۱) القبتاریخی = ای ما قبل التاریخ - بمعنی المصدور السابقة للمصر التاریخی اللی بیدا بتولی نعرمر - مینا عرش مصر معد توفیقه فی توحید البلاد الثانی .

الجديد ومداره في البدء كانت الكلمة ، والكلمة كانت مع الرب ، والسرب هو الكلمة • فهل ثمة صدى للتجربة الإنسانية على النيل ؟

: ويجيب الاســـتاذ برستد على تساؤله بالقول بأن هذه الفكرة الهائلة التي انبثقت قبيل أي باريخ بسرى معروف تعتبر في حد ذاتها دلالة على تفــدم نامـــج رائح انجزته الانسانية في ابان هذا العهد السحيق ٠ بميقول: ان الانسان ليصــاب بالذهول اذ تتبدى له حفيقة واقعة لا معقب لها مدارها أن الانسان المصرى دون أن بمر بمراحل تدريحية قد انتقل مفاحأة من آلهة الطبيعة إلى حضارة ناضجة متقدمة يظهر فيها القائمون على شئون الحكم والدين تفكيرا ناضحا تجريديا للك لأن المفكرين المصرين الأقدمين قد ألفوا الدنيا حولهم تؤدى عملها في وضوح وجلاء ؟ فاستنتجوا أنها قد استكملت مقوماتها ، وأن ثبة عقلا بحبط بالكون بأسره يحفظه وبرعهاه وآمنوا أنه يفضل الاله والكائنات ، يشمل سلطان الاله كل عضيو من أعضاء المخلوقات الحية على اختلافها • وأنه هو الذي وضع مراتب الشرف ونسق الأداة الحكومية ، وعبن لكل فرد في المجتمع عمله الخاص ، وهيأ لكل انسان مصدر رزقه ، وأنه يراقب متحهات کل انسان ، و برعی کل مخلوق نصفة عامة ٠

Dawn of Conscience منحة ٢٧ وما بعدها (٢)

وطبيعى أن يتكسف تطور الحياة عن وجود أفعال يرضى عنها الخالق وأخرى لا يرضى عن اليانها ، وأنها تجد صدى في نفوس أفراد المجتمع الذين يستحسنون الله فعل ويستهجنون ارتكاب آخر ، أى أن هناك أفعالا محبوبة وأخرى تعافها النفوس وتمقتها القلوب ، وبالتالى ؛ فانه منذ أن استوى الانسان على الأرض بشرا سويا ، عرفت البشرية التفرقة بين الصالح والطالح من الأفعال ، وأدركت العقلية المصرية منذ زمن سحيق وجود ذات أسمى وأخذت تلافع لمعرفة الخصائص الجوهرية التى تميز هذه الذات

ويتسم الحكم في مصر بترابط أجزائه جمية البرباط وتيق وذلك بفضل النيل: ترابط جعل الحكم المركزى ضرورة لازمة لحياة الشعب وسلطان الحاكم يجب كل سلطان بل انه الفلب الذي يزود جميع أجزاء الجسم بالحياة ومن ثم، تبلورت في الحاكم الأعلى بعد توحيد البلاد صفات الربوبية ، فأصبح الفرعون مصدر القانون ومبع الحياة والموت: ذلك لأنه تجسيد الاله على الأرض ، فاذا مات انتقل الى السماء يسبح في المحيط السسماوى مع والده رع (أي الشمس) ، أي أن الفرعون هو الاله الحي ينتصب في دنيا الناس ،

ولقد أشرنا في الفصل السابق الى أن النفكير الدبني المصرى قد تنازعه مصدران هما ماكانت بقع عليه عينا المصرى يوميا :

الأول ـ الشمس ا

الثاني ـ الخضرة ٠

وهذان المظهران من مظاهر الطبيعة قد أترا في الفكر المصرى منذ أقدم عصوره ودفعه غموض هاتين الظاهرتين الى تصورهما الهين عظيمين ولقد أضفت فكرة الموت على الديانة المصرية طابعا خاصا وأثرت على الوعى الدينى تأثيرا عارما تناول كهنوت العبادة الشمسية وعبادة أوزيريس على السواء •

وحقا ، لا نجد بين أمم العالم قديمه وحديثه أمة شغلت لديها مسألة الحياة بعد الموت تلك المكانة التى شغلتها فى اذهان قدماء المصريين ، وهذا الاهتمام البالغ بمسألة الحياة بعد الموت يرتد الى ازمنة سحيقة تبعد كتيرا عن عصر الأسرات ، اذكشفت أجسام ترجع الىسنة ٥٠٠٠ قبل الميلاد معتنى بحفظها ودفن مع أصحابها أمتعتهم الدنيوبة لاستخدامها فى العالم الآخر ،

فما هو السر وراء اهتمام المصرى القديم بالحفاظ على جسده انتظارا لحياة أخرى ؟

لعــل موجع ذلك دورة الانبات: اذ شــاهد المصرى الفبضان يعود العام بعد الآخر بعد شهور من المحل فيترعرع الزرع بعد جفاف • أى تعود الحياة الى الأرض بعد موات •

وقارن هذا بحالته الخاصة · وشجعه على ممارســة عملية الحفاظ على جسده ، سهولة ذلك في بيئة مصر الجافة ·

وتتألف ذاتية المسرء في الحياة الدنيا ، وفق التفكير المصرى القديم من : الجسم المرئى ، والتفكير غير المسرئى ومركزه القلب ، ثم الجوهر الحيوى ويعبر عنه بالتنفس وينفخ الحياة في الجسم ويطلق عليه اسم « با » ويرسم في صورة طائر ذي أيد بشرية ، ويعاون الانسسان في غضون حياته وبعد موته ، روح تحرسه وتحفظه ويطلق عليها « كا » ونسبقه الى الآخرة لتستقبله هدك ،

أعنى أن الموت لم يكن فى نظر قدماء المصريين سوى فترة نوم تتلوها عودة الروح الى الجسد لتفيد اليه نفس الحياة الطبيعية التى لا تختلف فى شىء عن الحياة الأرضية وهذا مادفعهم الى تزويد مقسابرهم باحتياجات المعيشة الدنيوية التى ألفوها فى دنياهم وحسبك دليلا تلك الأمتعة الفاخرة والرياش الثمين وغيره مما كشف بمقبرة توت عنح آمون وأما متوسطو الحال من الناس ، فزودوا مقابرهم بنماذج لاحتياجاتهم ، وقنع من دون ذلك بنغش رسومها على الجدران على أمل أن تلب فيها الحيساة بقوة

وقاد حرص المصريين على صون أجسمادهم من البلى ، لارتقاء الطب والكيمياء الى حد مذهل لم يتفوق عليه العلم الحديث الا أخيرا ، فقد أولوا سماهة جسمد الميت أكس

أهمية ، ويعنى فناؤه تلاشى صاحبه أبد الآبدين • ويقودنا هذا الى مقارنة فكرة المصريين العدماء عن البعث بمعتقدات الأدبان الكبرى :

فالمعتقد المصرى يشمارك الأديان السماوية الثلاتة في الايمان بحياة بعد الموت ، وفي الاعتقاد بأن البعث يتيح حياة خسالدة ونعيما مقيما • لكن يفترق المعتقد المصرى في ايمانه بضرورة الحفاظ على الجسد سمايما لتعود اليه الحياة ، متلما يحافظ هو على الأرض ، الى أن تعود اليها مياه النيل بحلول الفيضان •

أما الأديان السماوية الثلاثة فلا تسلم بالمحافظة على الجسد ، ذلك لأن ارادة الله كفيلة بأن تحى العظام وهي رميم .

ولا تعترف أديان الشرق الأقصى الكبرى بالبعث لكنها تؤمن بالتناسخ : ويعنى انتقال الروح من مظهر مادى الى آخر مادى ، سواء أكان بشريا أم حيوانيا أم نباتيا • ويعنى الرضاء الربانى كسر سلسلة التناسخ فتصبح الروح فى حالة سملكون ، ، وهذه هى الجنة البوذية والبرهمانية الموعودة •

وبالىالى ، يدرك الانسان الخلاص المنسود فى المقيدة المصرية والاديان السماوية بحياة خالدة بالجسم والروح ، بينما يدركه فى العقيدتين البوذية والبراهمانية بالروح عن طريق توقف حركة التناسع التى تعتبرها العقيدتان عقابا يوقعه الآله الأعظم بالروح فتحل فى ملايين

الاجسام على صور ستى الى أن تدركها الرحمة الالهية .

وتفصيح دراسية التفكير الديني المصرى عن حقيقة لا تمارى مبناها أن العقيدة الدينية هي نتاج البيئة والفكر المصريين • فأسماء الآلهة ومعانيها مصرية بحتة ، بل ان عبادتها قد انتقلت الى مختلف بقاع الامبراطورية المصرية في ابان ازدهارها •

كذلك لا يمكن أن ترتضى العقلية المصرية أن يفرض عليها قسرا منحى تفكيرى معنى سواء أكان في صورة عقيدة دينية أم متجه فكرى: اجتماعي أو سياسي أو اقتصادى وقد يسكت المصرى ـ ساخرا ـ على كل ظلم يتصل بحياله المادية ، وقد يخضع له على مضض ولكن يختلف الحال أن اتصل بأموره الروحية ، فانه لن يسلم اطلاقا باخضاع مقوماته الروحية لانسان مهما كان شأنه و وههنا يسنين لنا العامل الرئيسي في فشل اخناتون في حمل المصريين على الايمان بدعونه ، ذلك لأنها صدرت عن رئيس الدولة ، وكذلك فتسل امبراطور بيزنطة في تحويل المصريين الى مذهبه الديني ، وأخفقت الدولة الفاطمية في نحدويل المصريين الى مذهبه الديني ، وأخفقت الدولة الفاطمية في نحدويل المصريين الى مقيدتها الخاصة بل لقد استحالت مصر الى حصن مذهب السنة الحصين ولاتزال ،

الفصل الرابع

عقبة آنرن النرجيت

لم يحف حاكم مصرى .. بل ربما فى العالم كله .. بمثل ماحظى به أخناتون الملك المصرى من عناية الباحثين والكتاب ولم يتطرف الكتاب فى الحكم على شخصية تاريخية مناسا تطرفوا فى الحكم على أخناتون ، على الرغم من ضآلة المصادر والمراجع التى خلفها عصره ...

فان هناك من أغرق في مديحه والإشادة به ، فوضعه في صنف أصبحاب الرسالات الدينية العظمي • بل ذهب البعض الى القول بأنه عبقرية دينية فذة لا نظير لها ، بينما يجرده البعض الآخر _ وهم قلة _ من كل امتياز وينفي عن دعوته كل معنى أو مغزى كريم ، بل ويلصق به شتى التهم النكراء •

وليكن ؛ ما انفكت السكتب تؤلف عن أخساتون ، والقصص تحكى سيرته ودءوته ، والأفلام نصور حياته وتعرض لمبادئه ، وبعبارة شاملة ؛ فالحديث عن أخساتون لا ينفد ، منذ كشف آثار تل العمارنة بمحافظة أسيوط في أواخر القرن التاسع عشر ،

ففي عام ١٣٧٥ قبل الميلاد ؛ توفي أمنحتب النالت الذي بلغت مصر في عصره أزهى عصورها الحضاربة وأبهاها وخلفه ابنه أمنحتب الرابع (أخناتون) • فكان توليه الملك ايذانا باستفحال الصراع بين البيت المالك وكهنة طيبة : صراع بدأ منذ عهد جده تحتمس الرابع ، واستد أواره في عهد أبيه • اذ كان نفوذ كهنة آمون قد تعاظم على حساب سلطان الملك • فكان أن أخذ البيت المالك ينحو الى احياء عبادة الشمس راجيا اضعاف سلطان كهنة آمون ٠

ولم يكن أخناتون مسيرا في اتجاهه الديني بالعوامل الذابية _ منلما فعل أبوه وجده _ فلقد رنا الى أبعد من ذلك كثيرا ؛ اذ هفت نفسه الى الروحانية المجردة من الأغراض الدنيوية • وتبلورت عقيدته في عبادة القوة التي يعتبر الشمس أعظم مظاهرها على الأرض • واتخذ من اسم «آتون» علما على تلك القوة •

و « آتون » اسم قديم للشمس المادية · ورمز أخناتون الى هذه القوة بقرص الشمس ينبثق منه شعاع ينتهى بأيد بشرية تحمل من بعض معظمة الحياة المصرية

القديمة ، أى الـ « عنخ » • وبالتالى ؛ استعمل أخنانوں كلمة « آتون » التى تدل على كائن مادى ، للتعبير عن معنى تجريدى بحت •

ولم يعلن أخناتون عقيدته الدينية الا في السنة الرابعة من حكمه • وههنا غير اسمه من أمنحوتب (آمون راض) الى أخناتون (ليسعد آتون) • ثم شن حملات صادقة على آمون ، فأمر بمحو اسمه من جميع السجلات والمعابد •

والتنافر واضبح بين كل من آمون وآتون:

فان معنى اسم « آمون » هو المختبىء الذى لا يرى والمقوة التنماملة لكل شيء ، وكان يرسم على شكل انسان ، ويقع فدس أفداسه فى آخر المعبد ، وفى أشد أجزائه ظلمة ولا يمكن بلوغهذا المكان الا بعد تأدية طقوس معفدة ، لا يسمع بها الا لاشتخاص محدودين للفاية ، وكان هيكل الاله يلف أنناء المواكب العامة بغطاء حتى لا تقع أعين بقية الناس عليه ويحمله كهنة مختارون ،

أما آتون: فأنه قرص الشمس ذاته الواضح للعيان ، الذي لا يمكن حجبه عن أى انسان • وكانت المعابد الآنونية مفتوحة للسماء لتتيسر عبادة الاله في صراحة واضحة بمناى عنالغموض • وليس لآتون شكل انساني البتة • وانحصرت صلة آتون بالهيئة الانسانية ، في أن الاشمة التي تتدلى من قرص الشمس تنتهى بأيد تقدم رمز الحياة الى العابدين •

وأخلص أخناتون لوحدانية « آتون » • فأمر بطمس كلمة « آلهة » أينما وجدت • ولم تنج من حملته عبــــادة أوزيريس الشعبية • واذ وجــــ عبـادة آمون مريقة في طيبة وأدرك استحالة انتزاع مكافة آمون منها ، فقد ابتنى لنفسه عاصمة جديدة سماها « أخيتاتون » (أى أفق آتون) وأقام مدينة لآتون في النوبة ، وأخرى في آسيا ، أى في أجزاء الامبراطورية الثلاثة : سوريا ، مصر ، النوبة •

وبالأحرى ؛ لم يعد الاله اله مصر وحدها ، بل إنه اله الدنيا بأسرها · كذلك قصد أخناتون من نقل عاصمة ملكه من طيبة الى أخيتاتون توجيه ضربة قاتلة إلى كهنة آمون بالحيلولة دون وصول نروات إلامبراطوريةاليهم ، على أن مدينة أخيتاتون قد هجرت بعد وفاته وأعملت الحكومة الني خلفت حكم اخناتون معاول الهدم والتخريب حتى لم يبنى من أبنيتها اليوم حجر على حجر ·

فاخناتون ليس الاله ، ولم يدع انه الاله ، مثلما ادعى الفراعنة من قبله ومن بعده أنهم آلهة أو أبناء آلهة .

والعالمية هي المعامة الأساسية لعقيدة آتون · وهــذا ما يوضحه نشيد أخناتون بجلاء :

ه فی بلاد سوریا وارض مصر ، تضم کل شیء فیمکاند انك آنت الذی یمدهم بما یحتاجوئه وتزود كل كائن بطعامه ، وتقدر له أجله وبفضلك ، يختلف الناس فى لغانهم وتفترق طبائعهم ويتباين لون جلودهم فأنت الذى ميزت الأم الأجنبية عن بعضها بعضا وأنت الذى تهبها الحياة ٠ »

وفى الحق ؛ لم تعرف الحضارة البشرية هسنه النزعة الروحية العالمية قبل أخناتون • فانه هو أول أبناء الجنس البشرى ادراكا لوحدانية الله وشموليته • ويزداد عجب الرء اذا علم أن هذا الفود هو ملك أقسدم أمة وأعظم دولة متحضرة ، كما أنه حاكم أول امبراطورية عالمية عرفهسا التاريخ •

فاخناتون لم يكن فردا عاديا دفعته أحاسيسه النبيلة لانقاذ مجتمعه من أوزاره ، وتخليص مواطنيه من الجهالة التي يكابدونها ؛ بل كان ملكا آثر التضحية بملذات الحياة وبأبهة الملك في سبيل مبدأ اعتقد فيه خلاص الانسانية من الشرك وما يحوطه من تحلل خلقي .

وأخناتون هو الذى قاد أول ثورة فى التاريخ سملت كل جانب من جوانب الثقافة والحياة الروحية • فسكان أن جلب على أسه عداء الناس وكراهيتهم ، ولقبه أعداؤه بالمجرم وعملوا على طمس ذكراه وأزالة اسمه من على جميح الآثار الصرية • وأمحت ذكراه بالفعل ، الى أن كشف الباحثون

فى أوائل القرن التاسع عسر سجلات مدينته ومعفوظاتها. فكان أن انبعثت ذكراه الى الوجود وأصبح اسمـــه يدوى ويثير عواطف الباحثين .

ولقد سعى أخناتون الى أن يحل محل الحشد الضخم من الآلهة التى يتزعمها آمون/رع اله فرد حق ، ليس له صنم ، بل هو أثيرى الهيئة تتبدى عظمته للناظرين فى قرص الشمس « آتون » ولم يكن أخناتون مسيرا فى مسعاه بدوافع سياسية منلالتي دفعت بطليموس سوتبر الى توليف مزيج من العبادات لتوحيد العالم الهلينى روحيا ، ودفعت السلطان أكبر الى توليف ديانة رجا من ورائها القضاء على انقسامات الهند الدينية التى تعوق تقدمها و تثير الشيحناء والبغضاء بني أبناء الوطن الواحد •

وماهدف أخناتون الى تمجيد ذاته ؛ بل لقد ضميحى في سبيل دوافعه الروحية البحتة بامبراطوربة عظيمسة الأرجاء اقامها أجداده العظام ، ولم يأبه للانقسام الذي همد كيان مصر الاجتماعي • فلقد سيطرت على ذهنه فمكرة واحدة مدارها أن الأله الحق فد اختاره للتبشير بوحدانيته •

وتقنع كل الحيوانات بمراعيها ، وتزدهر الاشتجار
 والنباتات

والطيور التي تطير من أعتسانســـها ، تمد أجنحتهــا لتمدح قوتك

وتفف الحيوانات على أرجلها ، وكل مايطير أو يحط انهم يعيشون لأنك أشرقت من أجلهم

وتمرق الأسماك في النهر أمامــك ، لأن أشــــعتك تتغلغل في المحيط ، •

كذلك ؛ يتبدى ادراك أخناتون لوجود الله في الطبيعة وايمانه بتجليه تعالى في جميع مظاهر الحياة المرئية :

« أيها الحالق لبذرة الحياة في النساء ، أنت تجعل من البذرة السائلة انسانا

تعنى بالطفل فى بطن أمه ورحمها ، وتهدئه بما يوقف بكاءه

أنت الذى تهب النفس ليحفظ حياة كل من تخلقه فان صرخ الكتكوت داخل البيضة ، تمده بالنفس ليعيش •

فاذا ما تم حلقه داخل البيضة توحى اليه بكسرها ، بيخرج ماشيا « يوصوص » ٠ ولقد لاحظ بعض الباحثين المشابهة القوية بين بعض أبيات نشيد أخناتون وطائفة من فقيرات مزموز داود رقم ١٠٠٤ ، وهي مشابهة تكاد أن تكون تامة ؛ الأمر الذي يقطع بتأثير عقيدة أخناتون على التفكير اليهودي في بعض مراحله لكن سيجموند فرويد المالم السيكلوجي الأشهر يقطع في كتابه « موسى والوحدانية » بتأثير عقيدة « آتون » على أسسى المهودية ذاتها •

اذ يرى فرويد أن كلمة أدوناى العبرية (وهى اسم الرب فى العقيدة اليهودية) تحريف لكلمة آتون المصرية ، وتمتاز ديانة أخناتون بخلوها من الاسطورة والمسحر والعرافة ولا يمنل الاله فى صورة هرم صغير أو صقر ولم ينحت له تمنال ، فالاله الحق وفقا لعقيدة أخناتون ، ليس له شكل محدد ، ويفول فرويد أن هذا أحد الوصايا المشر التى ارتبط بها بنو اسرائيل بعد خروجهم من مصر مباشرة ، تم يسوق - أى فرويد - المدليل تلو الدليسل على أن موسى عليه السلام - لم يكن يهوديا ، بل كان مصريا صميما ظهر فى عصر أخنانون ، ثم يقرر أن اليهود قد اعتنقوا عقيدة فى عصر أخنانون ، ثم يقرر أن اليهود قد اعتنقوا عقيدة والمراسم الدينية التى واقتبسوا من مصر طقوس العبادة والمراسم الدينية التى أحناتون ، بل يرجع أنه من البيت المالك ، وأن خروج اليهود

من مصر قد تم فی تاریخ یقع بین عامی ۱۳۵۸ و ۱۳۰۰ قبل المیلاد عقب وفاة أخناتون(۱) ۰

ومهما يكن من أمر تسامى عقيدة آنون تساميا عظيما بالنسبة الى عصره ، فقد فشلت هذه العقيدة فى اجتذاب الشعب والصفوة _ على السواء _ الى حظيرتها ، لجملة أسباب :

الأول - انبعت العقيدة الآتونية من أعلى ، أى من الحاكم • وهذا يباين طبيعة العقائد الفكرية الناجحة التى تتسم بانبعاثها فى أوساط الجماهير وبين ظهرانى الطبقات المستضعفة بالذات • فالعقيدة _ أية عقيدة - لا مدص بقانون أو أوامر ادارية • وهذا ماجعل الطبقات المصرية الدنيا تصدف عن اعتناق عقيدة أخناتون لأنها صدرت عن السلطة العليا التى تمثل لديها الاستغلال والطغيان •

أما الطبقات العليا ؛ فقه اعتبرت أخناتون خائساً للمصالح المصرية ، فانه قد كرس وقته كله لعبادة الهه الواحد غير ملق بالا للأخطار التي باتت تحدق بالامبراطورية المصرية ، وأصم أذنيه عن نداءات الاستغاثة التي انهال

 ⁽۱) انظر تفصيل آراء الملامة فرويد عن الملاقه بين الآبونة واليهودية في كتابنا (مشكلة اليهودية المعالمية » ـ الكتبة الثة فية (عدد ۲۶۱) •

عليه من حكام مقاطعسات الامبراطورية · بالاضافة الى أن مبادئ اخناتون تهدر مصالحهم المتوارثة ·

الثاني - افتفرت عقيدة أخنانون الى الناحية الميتافيزيقية والسطحات التصوفية ، ولهذا فضل مجموع الشعب التزام عقيدنه القديمة حيث توافرت فيها هذه الناحبة ، ذلك لأن الآتونية قد خلت من الأساطير ، أو بعبارة أوصح من الترات السعبي الذي يجتذب العامة - أساسا للى حظيرة العقيدة الدينية ، وبالتالى ؛ أخفق أخناتون لأنه خاص العقل والفكر ونأى عن العاطفة ، وعمل على القضاء على التراث الروحي الذي لازم السعب آلاف السنين ، دون أن يعوضه ما يرضى عواطفه وأحاسيسه الباطنية وخيالاته ،

الثالث - لم يخلف أخناتون مريدين وأتباعا يناضلون للحفاظ على مبادئه ويستشهدون دفاعا عنها ولو وجدت عقيدة أخناتون منل هؤلاء الأتباع البررة ، لاسمتمال استشهادهم المستضعفين من النساس الى عقيدتهم وآمنوا بمبادئها وههنا كان يتغير وجه التاريخ المصرى تماما دلك لأن العقائد المصرية كانت قد أصابها التحجر فكان أن خبت جذوة الابداع فى النفس المصرية ، فانتهى الأمر بالحضارة المصرية الى التحلل فالانهيسار ، اذ لا يخفى تأثير الايمان الماسم فى النفس المصرية .

وفى الواقع ؛ ما دعوة أخناتون سوى محاولة لتجديد ضباب الروح المصرية لتتهيأ لاقامة منجزات ابداعية جديدة · بيد أن دعوة أخناتون قد انحصر الايمسان بهسا مى الملك وعائلته وفي طائفة من المقربين اليه ، معظمهم من الوصوليين الذين قصدوا من التظاهر باعتناقها ، تسنم المراكز الكبرى في الدولة وفي البلاط •

ويتفرع عما تقدم ؛ ما يأخذه بعض البساحين على عقيدة آتون من خلوها من التعاليم الخلقية ، فان آتون بجرد الله خالق تولى خلق جميع الكائنات وتوفير احتياجاتها ، فليس ثمة ما ينبى عن ثواب للمحسن أو عقاب للمسىء . ، وتخلو العقيسة من معنى الخطيئة ، أو حتى من مفسزى الصطلاحى الصالح والطالح ،

وهذا في رأيي حسكم مبتسر يقوم على تلك الأبيات القليلة من نسيد أخناتون ولا يعقل أنه لم يخلف سواها طوال حكمه الذي أمضاه في العبادة والتأمل ، وكرس ذاته خلاله لنشر مذهبه الثوري، وقد تكون بدائمه الدينية فقدت في خضم حملة التعصب والكراهية التي شنها أعداؤه عليه وعلى تعاليمه ،

ولا ينكر أحد على أخناتون صسفاء الروحى ومزاجه الشاعرى الذى يتبدى فى انتفاء مظاهر الخوف والرهبة والتدمير والقسوة والانتقام من عقيدته ، فانه يصور الرب رحيما شفوقا برا بمخلوقاته ، يسبغ على الجميع أفضاله ، ويسبحون بحمده لا خوفا ورهبة ، ولكن بدافسم الشسكر لانعمه .

ولفيه ألرت حركة أخنساتون في فنون عصره ، اذ أصبحت بتواءم مع الواقع والحق ، وتنفر من التزييف تطبيقاً لفكرة الملك القائلة « ذلك الذي يحياً مع الحو » • • فلم تعد تماثيل الملك نفسه تعبر عن مظهره باعنباره الها يجب ابرازه في أبهى حلل القوة والخلود • فان أخنابون قد شجع المثالين والمصورين على مراعاة الأمانة وأن يستوحوا الحقيقة المجردة • فلا بدع وأن يخلف لنا عصره أعمالا فنية تتجلى فيها نقائصه الجثمانية • وسمح لفنانيه بصوير حياته الخاصة ، ونجد في المتحف المصرى نمثالا لطيفها له وهو يقبل ابنته أو حبى زوجته •

على أن أنر أخناتون الباقى ، قراره اطراح اللعية المصرية التقليدية التى ظلت طوال ١٥٠٠ سنية _ حتى عهده _ دون تغيير أو تبديل ، واسطة الآداب والعيلوم ، والاستعاضة عنها باللغة التى يتحدث بها الشعب ، وإذا كانت آراء اخناتون الدينية قد ماتت بموته ، لكن قيض المقاء لاصلاحه اللغوى .

ومهما يكن من أمر الاختـــلاف في تقييم منجزات أخناتون الروحية والفكرية ، فان الآراء تتفق على نيــل مقاصده وسلامة نهجه ، ودعوته هي أول دعنوة لتحرير العفل من جهالة الشرك ، وفك اسار الضمير البشرى من سلطان طبقة من رجال الدين الفاســـدين الوصوليين ، ويعتبر منهاجه أولى حلقات سلسلة تطور العقائد الدينيسة الذي انتهى يظهور الأديان السماوية ،

الفصل الخامس:

متجهات الأدب المصري الفيم

اعتبر المصريون الثقافة أقوم سبيل يحقق المركز الكريم والمعيش الرغيد ويكفل السمعة الطيبة ، وكان الفرد يزهو على أقرائه ان لقب بالكاتب، وكان أعز أمانيه أن يقيم لنفسه تمثالا فى المعبد أو المقبرة يمثله جالسا متربعا ينشر بردية مكتوبة على فخذيه كأنه يكتب أو يقرأ ما عليها ١٠ اذ يعنى هذا انتسابه الى الصغوة المثقفة ،

ويرجع المصريون الكتابة الى معبود أسموه « تحوتى » نسبوا اليه أنه لقن أسلوب الحديث وطريقة الحط للناس • وقد حرص الفراعنة على تصوير أنفسهم يحملون لوحاً الكتابة ليعتفد الناس أنهم كتاب مهرة وأن لهم باعا طوياه فى ميادين الثقافة • وليس أدل على أهمية المنقف من أن أوزير رب العالم الآخر يغضب ان وفد الى حضرته جاهل • وينبئنا تاريخ الأدب المصرى أن كثيرين قد عزفوا عن المناصب وعن النروة وانصرفوا لاشباع نهمهم للئقافة وتبتلوا لمياتهم الفكرية وأغرموا بنواحيها المتشعبة • وقد تمسك المتقفون بتدابهم القدية باعتبارها تراثا قوميا ، لكنهم أفسحوا المجال لآداب عصرهم •

ويرجع أقدم ما وصل الينا من المعلومات عن اللغة المصرية القديمة الى عام 200 قبل الميلاد على أرجع الأقوال ، وقد كابدت منذ حسدا الحين عسدة تطورات وتغيرات الى أن انتهت الى صورتها الى عرفت اصطلاحا باللغة القبطية التى ظلت فى التداول حتى القرن السابع عشر المسلادى ، تم انحصر استخدامها فى بعض أدعية وترانيم وأناشيدالكنيسة المسيحية المصرية ، وزالت كلفة رسمية ، وأن بقيت منها آلاف من الكلمات والتعبيرات قائمة فى اللغة المصرية المدرية . وبخاصة فى الجنوب حتى الآن ،

وفى خلال هذه الحقية الطويلة دخلتها كلمات جديدة واستخدمت تعبيرات طريفة ، واندرست كلمههات وبطل استخدام تعبيرات وتبدلت معانى مصطلحات ، حتى ليمكن تشبيه علاقة اللغة المصرية فى شكلها الأخير (أى القبطى) باللغة المصرية فى عهد الدولة القديمة ، بعلاقة الفرنسية أو الأسبانية الآن باللغة اللاتبنية .

وتبع ذلك أن انبعثت اللهجة المجرية ذات الصفات المميزة والطابع الفريد بين لهجات البلاد المتحدثة باللغية العربية و بل أن لغة الكتابة المستخدمة في مصر ذات طابع خاص مستمد من تأثير البيئة المصرية ؛ وقد أسبغ عليها التطور الخسارى المصرى لونا فريدا : من ناحية التعبير والتفكير على السواء •

وبالتالى؛ تنقسم مراحل تطور الأسلوب اللغوى المصرى القديم الى الأقسام التالية : قديم ، متوسط ، حديث ، ديموطيقى ، قبطى • وكانت المرحلة اللغوية القديمة هى السائدة فى ابان عصرالدولة القديمة ، وقد أسبغت عراقتها عليها احترام العصور التالية وتوقيرها ، ويطالعنا أحسن أمثلتها فى متون الأهرام • وكان الخط الهيروغليفى والخط الهيراطيقى مستعملين خلال الأسرة الأولى ، كما كان النظام العشرى حتى المليون حمووفا •

وسادت المرحلة اللغوية المتوسطة خلال عصر الدولة الوسطى • ولقد خلفت لنا الأسرة الثانية عشرة الكثير من القصص والرسائل مكتوبة بالحط الهيراطيقى •

وانبعنت المرحلة اللغوية المتأخرة خلال الأسرة الثامنة عشرة ، ولا سيما في ابان عصر اختاتون • وخلف لنا هذا العصر نصوصا أدبية حررت بالخط الهيراطيقي •

وتمثل المرحلة اللغوية الديموطيقية اللهجة الدارجـة للعصر الصاوى • وترجع هذه المرحلة الى الأسرة الخامسا والعشرين واستمرت حتى القرن الرابع الميلادى • ويتألف معظم التراث اللغوى للمرحلة الديموطيقية من عقـود بيع ومسائل قانونية وصيغ سحرية ·

وتتسم المرحلة القبطية باستخدام الحروف اليونائية يعد اضافة ستة أحرف، استعيرت من الديموطيقية للتعبير عن الاصوات الخاصة باللغة المصرية والتي لا نظير لها في اليونائية •

ولعد أنبتت دراسات الباحتين بما لا يدع مجالا للشك ، أن نظام الكتابة المصرى الفديم قد نشأ بمصر وتطور بها • ومنهب انتشر استخدامه الى البلاد المجاورة وبخاصة في عهد ازدهار الامبراطورية المصرية ٠ ويبدى كثير من الثقات أن التجار الفينيقيين قد استعاروا الأبجدية الفينبقية حرالي عام ١٠٠٠ قبل المياد من الخيط الهيراطيقي المصرى ٠ واستخدم المصريون في بداية الأمر الصور للتعبير عنالالفاظ، ولم يعدلوا عنها بسبب نزعتهم المحافظة ، فاستمر وايسجلون بها الأحداث على المباني ويكتبون بها الوثائق الدينية وأطلق عليها اليونانيون اسم الهيروغليفي ويعنى الكتابة المقدسة ، بينما أطلق عليها المصريون اسم « كلمات الآلهة » · على أنهم قد ابتكروا ما يعرف بالخط الهيراطيقي للوفاء بمتطلبات التعامل الدنيوي العادي ، وقاعدته اختزال علامات الصور لتسهل كتابتها ، لكن بلغ التغيير حدا أبعدها عن الأصل بعدا تاماً • وظل الحط الهيراطيقي مستخدما حتى عام ٧٠٠ قبل الميلاد ، ثم تطور الى ما أطلق عليه اليونانيون « الخط الديموطيقى ، ويمتـــاز بسهولته · ثم استخدمت الحروف اليونانية ـــ كما ذكرنا ــ في المرحلة التالية ·

والمصرى بطبعه أسير النزعة الجمالية • وهذا ما دفعه قديما لأن يضحى بالترتيب المنطقى لعلامات الكتابة • فكان آثر كتابتها في مجموعات مربعة ، واقتضى ذلك أن تكتب نارة عمودية ، وتارة أفقية • وفيما خلا الحفاظ على الناحية الجمالية ، فالقاعدة أن تكتب اللغة المصرية (بأساليب كتابتها الثلاثية) من اليمين الى اليسار • وغالبا ما تلون المروف الهيروغليفية ، ويمتاز لون الطيور بالروعة وقد التزم الكاتب الفنان بمحاكاة الطبيعة الى الحدود التى تسمع بهلا الألوان والأصباغ المتاحة •

ويعكس الأدب المصرى عقلية قدماء المصريين وأمانيهم ويتصل بالأساطير الدينية والاناشيد والأغاني والحكم والنصائح و ونهة نصوص طريفة تنسب الى الملك أمنمحت الأول تشابه كتاب الأمير لماكيافيللي ، اذ خلف الملك نولى عهده وصايا تتصل بمبادى الحكم الصالح ومن قبيلها وصايا آني لوريثه و

ويسيطر الأدب الديني على جميع جوانب الأدب المصرى ولم يكن هذا غريبا في بلد يعتبر رجال الدين فيه دعامة الصفوة المثقفة وعمادها ، وما انفك و الذين ينزل في نفوس سكانه أعلى مكانة ويتألف الأدب الديني من مجموعة من الابتهالات والأدعية. يرجع أقذمها إلى الأسرات

الأولى ، أو الى عهود مافبل الأسرات ، ويطلق عليها الآن نصوص الأهرام وقد شرع القوم في تسجيلها ابتداء من حكم الملك أوناس (ونيس) آخر ملوك الأسرة الخامسة ، ويبلغ مجموعها ٧٤١ تعويدة تحتسوى على صلوات وبعض طقوس دينية وسرد أنباء حروب نشبت بين الآلهة ، وكانت تلك النصوص حكرا للملوك ، فكان أن ظهر مايطلق عليه نصوص التوابيت وكانت مشاعا بين الناس ، وأخيرا ظهر كتاب الموتى وينقسم الى سلسلة من الفصول كتبت على أوراق المردى وتضم تعاويد ووصفا للعالم الآخر وما فيه ،

وقد خلف لنا الأدب المصرى طائفة من الأساطير أذكر جوهر بعض منها من قبيل المثال :

اسطورة خلق الاله الأعظم للناس ثم عصيانهم له
 وقراره ابادتهم • لكنه يرحم البشر لضعفهم فيعفو عنهم •

٢ ــ أسطورة الصراع بين حور وست ، فان ست قتل أخاه أوزير حقدا وحسدا لمحبة الناس له لأنه علمهم الزراعة والصناعات والفنون ، ثم اغتصب ــ أى ســت ــ ميراث ابن أخيه حور الذى حملت به ايزيس زوجة أوزيربس بالروح منه ، ولما طالب حور باحقيته فى عرش أبيه حاربه عمله حربا عوانا لبثت ثمانين عاما ، ثم حكمت الآلهة لحور باحقيته فى ملك مصر ،

واذ كانت الاسطورة تمثل النزاع الابدى بين الحسير والشر وانتصار الخير في نهاية المطاف ، فقسد كانت أحب

الأساطير الى قلوب المصريين وبخاصـــة عامتهم . وكانوا يمثلونها فى ٢١ أمشير فى غمــار الاحتفالات بموت أوزير وبعثه بمدينة أبيدوس ، واليهـا كان يحج سنويا الألوف لمشاهدة تمثيلية الاله الشهيد · ويعتبر الباحثون فى تا ريخ المسرح أن هذه الاسطورة هى أقدم التمثيليات ، اذ سبقت مصر بها ـ وبغيرها ـ المسرح اليونانى بحوالى ألف وخسمائة مسينة ،

ومصر هى موطن القصة النصيرة وأذكر منها:

ا ـ كانت قصة سنوهى من القصص الشائعة ،
وتمتاز بجمال الحبكة وجزالة الاسلوب وقد عاش صاحبها
أيام الملكسين أمنمحت الأول وسنوسرت الأول و وتقص
مغامرات صاحبها، وتوفيقه فى أن يكون لنفسه مركزا ممتازا
بين البدو وقد تزوج ابنة شيخ قبيلة بدوية وأنجبت له
أبناء أصبحوا زعماء قومهم ، الا أنه مابرح يشتاق الى مصر
ويصبو للعودة ألى ربوعها ويضنيه الشوق لترطيب حلفه
بماء النيل و نم بلغه عطف الملك عليه فعاد الى مصر ، وأمر
بتعيينه أمينا من أمناء القصر ، وأصدر أمره الى كبير مهندسيه

٢ ـ وفى الملاح الغريق يحكى صاحبها الأهوال التى جابهت عندما تحطمت سفينته ، لكنه سبيح الى جزبرة يسكنها تعبان هائل يمتاز بطيبة القلب · فتألفا فترة الى أن حضرت سفينة أخرى عادت بالملاح الى مصر بعد أن زوده الثعبان بالهدايا · وتعتبر هذه القصة مصدر قصة الأمير زين الزمان وملك الجان في مجموعة ألف ليلة ·

٣ - تعالج قصة الآخوين طوضوع المرأة الخائنة التي تسعى لاغراء أخى زوجها ، لكن يأبى الآخ أن يدنس فراش أخيه • فكان أن حرضت الزوجة زوجها على أخيه البرى ليقتله مدعية أنه راودها عن نفسها فصدق الزوج ، وهم بقتل أخيه لولا أنه فر من أمامه وعاونه الهالتسمس وأنقذه وأمكن الآخ توضيح حقيقة الأمر لأخيه وتوكيدا لروايت بتر عضو التذكير • ويقتنع الآخ الزوج ويفتل زوجته الخيائنة • ولقد دخل جوهر هذه القصة في الأدب العبراني •

٤ ــ ونمة قصة تحكى مهارة أحــد القادة المصريين فى الاستيلاء على مدينــة يافا فى ابان عصر الملك تحوتمس التالث ١٠ اذ لجأ القائد « تحوتى » الى الحيلة للاستيلاء على المدينة بعد أن عجز عن اقتحامها عنوة • فادخل فى روح حاكم المدينة أنه يود مقابلته للاتفاق عــلى شروط تسليم الحامية المصرية ودعاه لزيارته فى معسكره • واندفع الأمير لتنبيــة المدعوة مسيرا بطمعــه فى الاستيلاء عـــلى نفائس المصريين • الا أن القائد الماكر وفق فى احكام وثاق الحاكم • ثم أحضر عددا كبيرا من الزكائب وضع فيها مائق جندى من أشجع جنوده بأسلحتهم واختار خمسمائة جندى لحملها ، وأغرى سائق عربة الأمير بأن يقرر لحامية المدينة بأن هذه الزكائب تحتوى على هدايا نمينة لعائلة الأمير وحاشيته • فلما فتحت أبواب المدينة لاستقبالها وثبالجنود المصريون فى فلما فتحت أبواب المدينة لاستقبالها وثسبالجنود المحريون فى غفلة من الحامية وانقضوا عليها واستولوا على المدينة •

وظاهر تأثير هذه القصة عــلى قصة حصـــار طروادة وقصة على بابا والأربعين حرامي ٠

وأقدهم الترانيم المعروفة هي ترنيسة الملك أوناس (ونيس) آخر ملوك الأسرة الخامسة و وتبدأ باظهار فدوة الملك وقدرته على افتراس أعدائه والتهام سحرهم وابتلاع أرواحهم وينظر الى الملك في الترنيسة على أنه رسول « جب » اله الأرض الى أوزير رب الخصوبة ليحيطه علما بشسئون الحصياد و ثم تتحسدت عن هيبته وترحيب الألهسة به •

ومن الترانيم الطريفة ، تلك التي كان ينسدها المصريون لأوزير وتقول « المجد لك ياملك الملوك ، ياسيد السادة ، يا أمير الأمراء ، يا صاحب الأرضين ، يا حاكم المبلاد بأسرها ، امنحنى المجد في السماء واعطنى القوة على الأرض » .

وكان للنيل (حابى) قداسة خاصة وقد حفظت لنا الآثار ترنيمة أنشدت أنساء الاحتفال بغيضانه تقول « تباركت يا نيل ، يامن تنبنق من الأرض لتغذى مصر فطبيعتك خفية ، النيل يروى المراعى ويزود الماشية بالغذاء، ويروى المناطق البور النائية ٠٠٠ ذلك لأن ماء ينزل من السماء ١٠ انه رب الأسماك ، يدفع طيور الماء صوب الجنوب ينبت الشعير ويبدع القمع واذا ما تباطأ سيره هلك الناس واذا ماقسا ، يندب الكبار والصغار ١٠٠ فان فاض شاع

الفوح وابتهجت القلوب ، ويمد الناس بالقوة ٠٠ وهــو لا يفرق بين سنخص وآخر ٠٠ وليس ثمة حواجز تحول دون جريانه » ٠

والى جانب الاناشيد ذات الطابع الدينى ، خلفت لنا مصر القديمة الكتير من الأشعار الغنائية : أغانى العمال ، قصائد فى مدح الملوك • ويفيض بعضها بأجمل المسانى وأحلاها • وأنوه هنا بأغنية عازف العود التى كتبت أيام المدولة الوسطى وكانت تغنى فى الولائم التى يقيمها أهل المت عنه قيره :

« تنقضى الأجيال وتحل مكانها أخرى و الالذين شيدوا الأنفسهم قصورا اندرست ، أين أماكنها الآن ؟ لقد تهدمت جدرانها فأصبحت والعدم سواء و ولم يأت أحد من هناك فيقص علينا ما أصبحوا عليه ويطلعنا على مصائرهم كيما تطمئن قلوبنا وترتاح نفوسنا حتى نسارع نحن بدورنا الى المكان الذى ذهبوا اليه و جدير بك أن تمتم نفسك وتنسى ذلك اليوم الذى لا بد وأن يأتي لتدفن ، وارم بكل الأحزان وراء ظهرك ، واتبع رغبات قلبك مادمت حيا ، واغرق فى ملدانك ولا تكتئب ولا تحمل نفسك الهموم ، واقض اليوم سعيدا ولا شمخل نفسك بشىء وان عدا لن يأخذ معه الى القبر أمواله ، ولن يعود للحياة من يوارى الثرى » و

وتفيض أغانى الغزل المصرية القديمة رقة وعذوبة ، ونلمس فيها حبا تنسيع في جباته العفة والحنان • ومبالغة فى الاعزاز ينادى الحبيب على حبيبته بلفظ الاخت كما تلقيه بدد أخى ، اعلانا عن أن الحب قد ربط بين القلبين فأصبح المحبان من دم مشترك • ويبث كل منهما لصاحبه الشوق المبرخ للقاء ويصف اللوعة التي يلاقيها من بعاده •

ولا تزال الحكم والنصائح من أحب الوان ألادب الى تفوس جنسنا المصرى • فلا يوجه شعب كالمصريين يغرم بترديد الأمثال والحسكم والمواعظ التي لا شك في كونهسا حصيلة تجاربه في ابان معترك ناريخه العريق الحافل بالأحداث والمحن • غالبا ما تصاغ عملي لسان أب يمحض النصبح لابنه ويرشده سواه السبيل . وتعتبر نصائح الوزير بتاح حتب أشهر ما وصل الينا من أدب المواعظ عند أجدادنا العظام ، وفيها يحذر ابنه من الغرور والتعالى بسبب العلم ويهيب به أن يستشير الجاهل مثلما يستشير العالم اذ لا نهاية للعلم ، والحكمة نادرة وقد يعثر عليها في حوره اقل طبقات الحدم، تم يناشده اتباع الحق فانه مشل الطريق السموى أمام الضمال والانحراف عنه يقود الى التهلكة • ويوصيه باحترام الرئيس مهما كان أصله ، وأن يتعفف عن السعى لمعرفة شيء عن ماضيه عندما كان مغمورا، وأن لا يتعالى عليه بسبب ماضي أيامه · ويحتم عليه معاملة أصبحاب السكاوى بالحسنى ، فأن الاصغاء للشكوى بغمر قلوب الناس بالفرح. نم يحذره من الوقوع في غواية النساء، لأن الافراط في الملذات يجانب الحكمة ، ولهذا يحنه عمل السزواج •

ومن النصائح التي اهتم بها الباحثون نصانح أمنؤوبي ومناك اجماع بين العلماء في كافة أتحاء العالم على أن جزءا من سفر الأمثال (من الاصحاح ٢٢ آية ١٧ حتى اصحاح ٢٤ آية ٢٧ منقول نقلا حرفيا من بردية أمنؤوبي) • كما أن أجزاء كثيرة من حكم هذه البردية قد اقتبسه العبر انيون في مواضم كثيرة من التوراة في غير سفر الأمثال •

على مواضع صيرة من مسورات على حين الفصل الخاص بتراث مصر الخلقي •

القصل السادس

أخاط الفي لصري لقريم

١ _ طابع الفن المرى

يقرر ومم بترى العالم المصرولوجي الكبير (١) أن طبيعة البلد هي التي تشكل فنها وأخلاق سكانها على السواء، وان تطبيق المقاييس الفنية لبلد على بلد آخر فيه افتيات كبير على الحقيقة ولن نحيط علما بعقلية الفنان الا ان درسنا تلك الحسائص الأدبية التي اتخذتها الامة التي ينتسب اليها مئلا أعلى للحياة ،

ويستتبع هذا الرأى أن يؤخذ في الاعتبار عنه

(۱) صفحات ۱ و ۲ و ۷ (۱) Petrie: Arts and Crafts of Ancient Egypt الحكم على الفن المصرى وتقدير منجزاته عنساصر مثل: علاقته بالأرض وصلته بالشسعب واتصاله بالأحاسيس التى يرغب الفنسان فى اضعائها على عمسله الفنسى ليستثير المشاهد ومدى صدق هذه الإحاسيس فان تهة عوامل جغرافية تسير طبائع السكان وتتحكم فيها ، وتؤثر بدورها على ذهن الفنان وعلى عمله بالتالى:

١ -- صرامة المناظر الطبيعية المصرية ، حيث لا تتغير
 الفصول تغيرا يذكر ٠

٢ ـــ المنحدرات الصخرية العالية ، وتصيبها عوامل
 التعرية باستمرار بالحز القطع •

٣ _ أشعة الشمس المتوهجة على مدار السنة •

٤ ــ صفاء الجو تمامــا ٠

م النباين الهائل في المساهد والمناظر ، أي بين الفيضان والتشريق ، الخضرة والجدب ، الحياة الميسرة في الأرض العامرة وقفر الصحراء ٠٠٠٠ النع ٠

أعنى أن الغنان المصرى قد ألفى نفسه معاطا بقدى الطبيعة بجلالها وجبروتها وضراوتها وتناقضاتها • فلابدع وأن يتطلب المصرى من المنجزات الفنية أن تكفل عنصرى الدوام والاحتمالية • فالحلود غايته من عمله ، ويجب أن تبقى العمائر التي يقيمها والثماثيل التي يمنحت له قائمة أبدا الآبدين ، وأن لا يصيب اسمه تبديل أو تحوير ليبعث على صورته في الدنيا •

فالمعابد التى اقامها المصرى والصلوات التى توجه بها للآلهة ، انما هى تعبير عن رغبته العارمة فى أن يحقق لنفسه ذلك الحلود الذى ساهده فى مظاهر الطبيعة حوله وهى تتسم بالثبات والاستقرار ، وضمانا لاضفاء الحلود على عمله ، لا بد من توافر عنصر القوة والمنعة فى جميع منجزاته لكى تستطيع مبانيه وتماثيله أن تصعد للفحسة العاصفة الرملية وارتفاع النهر الغادر ، وسعير الشمس المحرقة : وهذه القوة يجب أن تتضمن الدوامية ،

أما أن المصرى قداحرز مراده ، فهذا ما يتضم للعيان . فان أهراماته ومعابده وحصونه وتماثيله الهائلة لا تزال بعد انقضاء خمسة آلاف سنة قائمة تشهد على تفانيه فى عمله وايمانه برسالته ، وما انفكت تتحدى الزمن وعوامل الهدم والتخريب ، ولقد سبق الفنان المصرى البشر جميعا فى تشييد العمائر ونحت التماثيل وفى الفنون ، وفى الفنون التخطيطية بصفة عامة (١) ،

ولقد نشأ الفن المصرى فى أحضان الدين ، منله مثل المنون فى الباد الأخرى وفى جميع الأزمان • فكانت التماثيل فى المعابد المصرية تمثل الآله نفسه : فى خلوده وجلاله ، وتساميه ، وعزلته عن الناس • وقد حرص الفنان المصرى على اضفاء طابع الرزانة والوقار على صور الملك

⁽١) الفنون التخطيطيه : كالتصوير والرخرنه والكتابة

والأرباب ، وأن تتخلى عظمة المباني في بساطتها وضخامنها معا ٠ ٠

والى الدوافع الدينية ترجع اقامة التماثيل فى المقابر، وتماتل حقيقة أصحابها الى حد بعيد • وكان احترام الموتى فرضا أساسيا عند المصريين ، وهذا معنى جهد الفنان فى اضغائه على عمله • واذا كان الفنان مقيدا فى تحت التماتيل وتشييد المعابد بنمط خاص ، فانه وجد فى زخرفة جدران المعبد والمقبرة ما يشبع رغبته فى عرض موهبته واظهار احساسه بجمال النسب وروعة الألوان •

وكان أساس زخرفة التماثيل. في المعابد مناظر المعقوس الدينية وصور الآلهة • أما في المقابر ؛ فقد أطلق المعنان لمهارته العنان ، فأخذ يصور على جدرانها مشاهد دفيقة تفصيلية تتسم بالروعة لحياة أصحابها الدنيوية • لا أن الفنان كان مقيدا بهندسة البناء ، مما اضطره الى تقسيم حيطان المقبرة الى مجالات أفقية ، وأن يفصل بين المنظر والآخر بخط أفقى • ولكن نمة أوضاعا كان لا مناص للفنان من التزامها ممل رسم صورة الميت جالسا وأمامه مأئدة حافلة بأطعمة الفرايين ، اذ بدونها قد يجوع الميت في الحياة الآخرة • ولا يزال المصريون المحدثون مسلمين ومسيحيين ـ يخرجون لزيارة الأموات حاملين معهم أطايب المأكولات لتوزيعها على روح الميت ، عوضا عن رسمها في مقبرته كما كان يفعل أجدادهم •

٢ _ المنجزات الفنيسة

تعتبر مصر متحف العالم الفشى • اذ لم تخلف حضارة من الحضارات متل ذلك الحشد الهائل من التبحف الفنية المتعددة الأنواع والأشكال • وعندما يتكلم المرء عن مصر القديمة نطفر الىذهنه أهراماتها ومعابدها ومسلاتها السامقة ومصنوعاتها الدقيقة من الحشب والمعادن بأنواعها والأحجار الكريمة • • • • النح •

وما من زائر لمتساحف مضر وبريطانيا وورنسسا وألمانيا وأمريسكا وغيرها الا وينتشى اعجسسابا من روعة المنجسزات الفنية المصرية • حتى لقد أصبح ثمة اعتقاد جازم بأن الفن كان عماد حياة المصرين ودعامتها ، وأن المسعب المصرى قد كرست لابداع تلك الروائع الفنية ، وأن المصريين _ كما يقسرر العالم الكبير أدولف ارمان (١) _ جنس فنان فذ تربعتبر أستاذ العالم في تطويع الاحجار والمعادن والأخشاب للابداع الفني .

والفن نتاج محض للعبقرية المصرية • فان الفنيان المصرى لم يقتبس من المنجزات الفنية الأمة أخرى على غرار ما حدث من اقتباس فنانى الأمم بعضهم من بعض ، ذلك الأن الفنان المصرى لم يسبقه سابق •

. ولقد كانت اليونان تحبو في طفولتها وقتما كانت

⁽۱) صفحة . ٢٤ وما بعدها من ألجلدين الاول والتاني The Historian's History of the World

مصر تقود العالم فى طريق الحضارة منذ عهد بعيد • ولبث العالم أجيالا طوالا يتطلع معجبا الى ثرائها وعظمتها وقوتها ، ويسلم لها بالصد؛رة فى الحكمة والفن • فلابدع وأن تقتبس اليونان من الفن المصرى • وهـنـذا مانتبينه فى الأعمـــدة الدورية التى نجد أصولها فى معبـد الملك زوسر مؤسس الأسرة الثائنة وبانى أول هرم ـ أى الهـرم المدرج فى سقارة ـ وأول بناء حجرى فى الوجود •

وهذا الهرم هو مركز مجموعة معمارية كبيرة تسغل مساحة ٢٥١ ألف متر مربع ، ويحيط بها سور ارتفاعه عشرة أمتار · والى ايمحوتب المهندس العبقرى يعزى بناه هذا الهرم ، ولم يكن مهندسا فحسب بلكان طبيبا وفلكيا وقد وحده اليونانيون مع اله الطب اسكلبيوس · وتعتبر فكرة ايمحونب فى تشييد الهرم المدرج خطوة هامة نحو تسييد المقابر الملكية على شكل هرمى · فلم يمض الا أقل من قرن واحد حنى رأينا المهندسين المصريين يقيمون الهرم الأكبر فى الجيزة؛ لكن قبل أن يبنى هذا الهرم الكامل كانت قد صممت على الأقل أربع مقابر هرمية الشكل ، بالاضافة الى هرم الملك زوسر المدرج ·

وتبلغ مساحة قاعدة الهرم الأكبر ثلاثة عشر فدانا وهو مسيد من الأحجار الجيرية ، ويبلغ عددها ٢٠٣٠٠٠٠٠٠ كتلة حجرية تزن كل منها ٥٢٥ طن في المتوسط تقريبا ويصل وزن بعضها الى خيسةعشر طنا ، وطول ضلع الهرم يكاد أن يكون عند القاعدة ٧٣٠٠٥٠ مترا وارتفاعه عندما

كان كاملا أكثر من ١٥٠ مترا ، واتجاه كل جانب منجوانب المهرم يكاد أن يكون مضبوطا على خطوط الشمال والجنوب والشرق والغرب و ويذكر هيرودوت أن مائة ألف عامل ظلوا يعملون في بناء الهرم عشرين عاما ، وهذا ما يحمل الأستاذ توينبي على اعتبار عصر الأسرة الرابعة ذروة الحضارة المصرية ، مستدلا على صحة رأيه بقوة التنظيم الادارى التي أمكنها حشد موارد البلاد البشرية والمادية في كفاية نادرة المثال لتشبيد هرمى الملكين خوفو وخفرع بالذات ،

وعقب طرد الهكسوس من مصر تعاظمَ نشاط حركة البناء ، ثم ضعفت في عهد رمسيس الثالث من الأسرة العشرين ،

ولقد حرص المهندسون المصريون على ربط عمائرهم بالفن وبالذوق السليم وتم ذلك بفضل التزامهم الوضوح واستقامة الاتجاهات والابتعاد عن التعقيدات المعارية وحسبهم فخسرا أنهم خلفوا مجمسوعة الكسرنك الني تتضمن نحو عشرين عمارة دينية ، وتعتبر أعظم ماخلفته البسرية على الاطلاق من العمائر الدينية ، وحسبى الاشارة الى بهو الاساطن الهائل وقد جمع فيه المهندسون المصريون بين الروعة والجلال والجمال والضخامة المفرطة على السواء وقد رغب أولئك المهندسون في أن يتركوا في وسطه ممرا واسعا تعبره المواكب الدينية والهيئات الرسمية في معبد واسعا تعبره المواكب الدينية والهيئات الرسمية في معبد آمون وخلال أعياده ، فكان أن شهيدوا صغين هائلين من

أساطين حجرية شاهقة يتجاوز ارتفاع كل منها العشرين مترا ويبلغ قطره أكثر من عشرة أمتار ويشبه تاجه هيئة ذهور البردى المتفتحة ، ويبلغ من سعة هذا التاج أنه يتسع لوقوف عشرات من الناس فوقه .

ولقد سبق أن أشرنا في الفصل الرابع من هذه الدراسة الى الثورة الدينية والفكرية التي حمل لواءها الملك اخناتون و وطبيعي أن تتأتر مدارس الفن بهذه الثورة متناهية و في بساطة والالتصاق بالطبيعة في بساطة متناهية و فيكان أن تحررت مدرسة النحت من الأساليب القديمة وعمدت الى تمثيل الأشخاص وفق هيئتهم الطبيعية دون افتعال و واهتم المثالون اهتماما بالغا بدراسة الوجوه والأحاسيس ، وهذا ما يطالعنا في تماثيل الملك والملكة ، هذا العصر : باك وأوتي وتحوتمس و ولا تغيل مدارس النحت في ولائها للواقعية التي اعتنقنها دبانة آتون ؛ فصورت الملك والملكة في أوضاع طبيعية : دبانة آتون ؛ فصورت الملك والملكة في أوضاع طبيعية : التصوير في اظهار وحدة المناظر واستغلال وحدة المكان ،

لكن الثورة الفنية الآتونية قد انتكست بعد القضاء على الثورة الدينية والفكرية التي رجا الملك من ورائها أن يجدد شباب الأمة المصرية ؛ مصداقا لرأى المؤرخ الكبير آرنولد

توينبى • فكان أن عاد الفن الى أوضاعه القديمة ، بل ان الأحداث التى حطت على مصر فى العصر الفرعونى المتأخر وما تلاه من فقدان مصر قوتها وازدهارها بل واستفلالها السياسى ، قد دفع الفن الى التقوقع والتشبث بالقديم ؛ حرصا على سلامة الذاتية المصرية التى يعض عليها المصريون بالنواجذ ، ولا يبغون عنها بديلا : فى كل آن •

ولا شبهة فى أن العالم كله يدين بالأسلوب المعمادى المعقدة قد اختفت من ميدان البناء ، الا ما بغى من مخلفات المعقدة قد اختفت من ميدان البناء ، الا ما بغى من مخلفات الأسلاف منسل طراز البناء البيزنطى والهندى والقوطى والصينى والفارسى و فلقد أصبحت استقامة الخطوطوتحرى البساطة والبحث عن الفائدة العملية مع كفالة الروعة صفات تتطلبها المذنية الحديثة فى مبانيها ٠٠ وهذه لعمرى أسس الفن المصرى القديم و ولقد كانت تطالعنى يوميا أنناء اقامتي بموسكو ملحقا بالسفارة المصرية خلال أعوام اقتبسه المهندس السوفييتى من هندسة هرم سقارة المدرى ولم يطل الامر بى حتى أطلعت على بحن كتبه هذا المهندس السوفييتى عن العمارة المصرية ، وفيه يشسيد بعبقرية السوفييتى عن العمارة والمعرية ، وفيه يشسيد بعبقرية المهندسين المصرين ويعتبرهم رواد فن العمارة وأساتذته والمهندسين المصرين ويعتبرهم رواد فن العمارة وأساتذته والمهندي والمهندية وقبه يشسيد بعبقرية

القصسل السابع

التراث الخلقي لمصري

١ - انبعاث الوازع الخلقي

ألهمت البيئة العقلية المصرية منذ زمن سحيق يرجع الى ماقبل الأسرات ، وجود ذات أسمى ، فأخذ المصرى يكافح لادراكها ، فكان أن هدته بصيرته الى أن ثمة فعلا صالحا محبوبا ، وآخر طالحا مكروها ، ويعنى هذا أن الخلق الكريم يستند على نسامى الانسان الروحى وسلوكه فى علاقاته مع عائلته : زوجه وأبنائه ووالديه وأخوته وأخواته ، بالذات ؛ ويطالعنا ـ توكيدا لهذا الرأى ـ نص كتبه أحد نبلاء الصعيد على قبره خلال عام ٢٧٠٠ قبل الميلاد يتباهى فيه باعماله الحسنة ثم يقول « اننى لا أكذب اذ كنت مجبوبا

من والدى وتثنى على والدتى ، ويحمد أخى أخـــلافى ، كما كنت لطيفا مع أختى ، • وقد ورد نفس المعنى مسطرا على قبور نبلاء عصر الأهرام •

أعنى أن الورع البنوى كان أعظم الفضائل التى يفخر بها الانسان وقتذاك ؛ فكان الأبناء بعتزون بتشييد قبور والدهم الراحل : فالعناية بالقبور غاية الغايات عند المصرى القديم •

ومن رسوم المقابر التي خلفها أجدادنا منذ عام ٣٥٠٠ قبل الميلاد يتضبح سمو الحياة العائلية المصرية في وقت كان معظم العالم يحيا في غمار الهمجية تهيم شعوبه على وجوهها في الفيافي والقفار والغابات ، ويقتل بعضهم بعضا ، ويئد الآباء البنات خسية املاق ، وتشيع التضحية البشرية سواء بذبح الآباء أم الأبناء التقاء لغضب الآلهة التي تسسعدها اراقة الدماء البترية على مذابحها ،

على حين كان المصرئ ينعم بحيــــــاة رحيـــة مستقرة مع زوجته وأبنــــــائه في منزل خاص ، ويمارس عمله في هدوء وسلام ، ويؤدى شعائره الدينية لآلهة وادعة كالبيئة السالمة .

وهذه الحياة العائلية الوادعة بما تضمه بين تناياها من عاطفة حنان أبوى واقبال على رعاية الأولاد وحمايتهم قد انبعثت عنها صفات: السخاء والامتنان والمحبة والرحمة والحنو الصادق وبعبارة شاملة انبئق عنها السلوك الإيثارى بجميع أنواعه وطبيعى أن يستثير العدوان على

الأطفسال غضب الوالدين واندفاعهم لحمايتهم ، وهـــذا المغضب ــ كما يقول مكدوجال العالم النفساني الكبير (١) ــ هو بذرة السخط الخلقي بأسره وعلى أساسه أرسيت دعائم المعدالة والجانب الأعظم من القانون العــام ، وعن هذه الصفات ؛ برز معنى المسئولية التي غدا لها سلطان حاسم على السلوك البشرى •

واذا كان السلوك الطيب قد انحصر في العائلة في بداية الامر ، فقد اتسع مداه قبل عصر الأهرام بوقت طويل الى أن شمل أمور الجماعة ، فأصبح الفرد يرى واجبا عليه أن يحسن معاملة من يتصل بهم من الناس وأن يجتنب الأضرار بأخوانه ، أعنى تجلى مانطلق عليله «الوازع الخلقي» لأول مرة في تاريخ الانسانية ، وقد تم يتأثير التطور الاجتماعي الذي اتخذ مجراه في مصر قبل أي بلد آخر في العالم بزمن طويل ، ولا شبهة في أن الوازع الخبلقي مو قوام الضمير ، وهكذا تصدق عبارة العالم الكبير جرين « ليس في مكنة فرد أن يصلح لنفسه ضميرا ، فانه يفتقل على مجتمع يفيمه له (٢) ، وتحفل النقوش التي خلفها عصر يناة الأهرام بنصوص يشهد أصحابها على أنفسهم بأنهم أحسنوا معاملة الناس وأنهم

⁽۱) سقحة ٧٤

W. McDougal: An Introduction to Social Psychology

⁽۲) صفحة ۲۸۷

أجزلوا عطاء كل من قدم لهم خدمات وأن قبورهم لم تشيد غصبا أو قهرا ويقول أحد نبلاء هذا العصر « أطعمت كل جائع في ضبعتي وكسون العريان وأعطيت المحتاج ماشمية ، ولم أغتصب أمتعة أحد مما يدفعه للشكوى متى ، ولم أكذب قط لأننى كنت محبوبا من أبي مقربا الى والدتي » • فالمصرى القديم كان يفزعه عندل الناس ويؤرقه دعاؤهم عليه ، ومصداقا لهذا الرأى ينادي طبيب الملك ساحورى «لم أرتكب وزرا ضد أى انسان»، ويقول أحد الكهنة على جدران مقبرته « لم أستخدم القوة ضد الناس » • وكتب أحد عامة الشميعب على جدران مقبرته « يامن تمر أمام هذه المقبرة قدم الى روحي شيئا من القربان لأننى استحقه لحب الناس لى ، اذ لم أغتصب ممتلكات أحد وكنت محسنا للجميع » •

ومن خصائص الجنس المصرى الميزة ـ قديما وحديثا _ سعيه الدائب لتتفق أفعساله مع أوامر الرب ونواهيه و الآله يرى أن المجتمع والآله يعينان أنمساط الوازع الخلقي وحدوده على أساس القساعدة « ما يحبه الناس ويرضى الرب عنه » أى ما يجمع بين ما هو صالح وعادل واستخلم المصرى القديم كلمة «نفر» (بضم النون وكسر الفاء) للتعبير عن الصالح والجميل، كما كانت تستخدم للتعبير عن الطافة والفال الحسن وبالتالي؛ كان لهذه الكلمة وعكسها « دجو » (أى الردى والبغيض والحظ السيى

والمحزن) جانب ذوقي وآخر خلقي ، هذا بينما كان لكلمة « معات » (الصدق ، الحق ، القسط) معنى أخلاقي أصبح دعامة الصرح الحضارى المصرى : المعنوى والخلقى • وقدس المصريون لفظ «معات» حتى أصبح ربًا من الأرباب، واستخدموا نقيضا له كلمتين : جوريج (وتعنى المكنب والبهتان) ويسفت (وتعنى المضرة والحطيثة) •

وآمن المجتمع المصرى بمسئولية الانسان عن عمله • فانه وان سلم بسلطان القضياء والقدر ، قد آمن بأنه لا يقيد ارادة الفرد الحرة • فان القدر يشكل مختلف احداث الدنيا التي يعيش الانسيان ويعمل في نطاق تأثيراتها ، لكن الحكمة الالهية قد منحت الانسان القدرة على كفاح تلك التأتيرات ومجابهتها والتغلب عليها بفضل عزيمته وصلابة ارادته •

وما تطلق علية الضمير مركزه القلب « يب » وفق المعتقد المصرى المقديم ، وكان كذلك مركز العقل والرغبات وتمن المصرى بأن صوت القلب هو صوت الله • ومن الأمثلة المصرية المقديمة « سعيد من يقوده قبله في طريق الفعل السليم » •

وكان المصرى الفديم شديد الحرص على أن نتيح له أعماله الطيبة حسن الأحدوثة ، وأن يخلف لذريته اسما رنانا ، مؤمنا بأن الناس تذكر صـــاحبه أبد الآبدين ،

ويحظى بحياة مديدة • ومن السلوك الحميده ينبعث ما هو حسن وصواب ، وهـــذا ماكان يدفع المصريين الى تلقين أولادهم منذ نعومة أظفــارهم المبادىء الخلقية والأمثال التي أبدعها السلف ، وترسم طريق مكارم الاخلاق •

وتتضمن متون الأهرام دليلا لاينقض عن أن المطالبة باحفياق الحق وتمكين العدالة أعظم قوة وتأييدا من الملك نفسيه و فان المصريين جميعا سواء أمام « رع » الاله الاعظم و ويطالعنا نقش من الاسرة السادسة يقول « ان الملك بيبى لم يرتكب الما » و ولا يستثنى الملك نفسه من المنول أمام محكمة الاله للتدليل على براءته و

٢ ـ السنن الخلقية

جابهت الشعب المصرى منذ آلاف السسنين المحن المتقال وعركته الأحداث ، ومن غمامها استقامت دعائم الحكمة المصرية التي أشادت بها التوراة حتى لقد ذكرت أن موسى عليه السلام قد نعلم حكمة المصريين كلها • كذلك نوم بتساميها مفكر اليونان والرومان • ومن تجارب شعبنا العديدة في حياته الطويلة الحافلة ، صاغ المصريون أمثلتهم المأثورة ونصائحهم ونكاتهم وقصصهم الرمزى ، وفيها أودعوا سسننهم الخلقية • وما برح المصريون يتداولونها جيلا بعد آخر ، ولا تزال معانيها قائمة وان

تغير رداؤها اللغوى • ذلك لأنها حصيلة البيئة المادية المستقرة الثابتة ، كما أنها نتاج التطور الاجتماعى الذى يسكل أنماط الشعب المصرى : الخلقية والاجتماعية والأدبية • • الغ ، وهذه الأنماط هى التى تضع المصريين فى تلك المنزلة الخاصة بين شعوب العالم •

وتزودنا نصائح بتاح حوتب وتعاليمه بأقدم صياغة للسلوك القويم و كان رئيسا لوزراء عدة ملوك آخرهم الملك « ايسيسى » من الأسرة الخامسة (القرن السابع والعشرين قبل الميلاد) وتقاعد بعد أن جاوز عمره المائة عام و ويعلى هذا السياسى المحنك من شأن الفطرة السليمة ويقدر العقل تقديرا خاصا ، ويعتبر الامتئال للنصح حير صغة يتحلى بها الشباب وفي هذا يقول « الادراك من يمن حظ الانسان ، ولاشيء يعادل طاعة الابن لاقوال أبيه واذا امتثل الابن لتوجيهات الأب فلن يخيب له عمل ، ومن يتجاهل أقوال أبيه غبى لانه لا يفرق بين الحكمة والجهل والنافع والضار » •

وتقصيح هذه الأقوال وغيرها عن حقيقة لاتبارى وهى أن السلوك الخلقى قد غدا قبل حلول القرن السابع والعشرين قبل المسلاد (أي منذ أكثر من ٤٧٠٠ سنة) فضية مقررة فأصبحت سننا تحتدى وتنتقل من السلف الى الخلف ' ويولى بتاخ خوتب مسالة التوفيق في عالم الدنيا عناية خاصة حتى لتشغل نلث تعاليمة البالغية

ثلاثا وأربعين فقرة ومنها ما يتصل بآداب المائدة التى يحضرها رجل خطير المركز فيقول « نناول ما يضعه أمامك ولا نتطلع الى ما أمامه ، وأخفض عينيك الا أن وجله الحديث اليك ، ولا تتكلم الا ان أذن لك بالكلام ، واضعك عندما يضعك » ويرسم هذا الحكيم خطوطا تتسم بالدهاء لمعاملة المرءوس لرئيسه تذكرنا بمبادىء الكاتب السياسي الايطالى ماكيافيللى الذى يوصى باصطناع الصبر فى معاملة الرؤساء ومداهنتهم ليرضوا عنه فينال أسمى المناصب .

وتشتغل المسئوليات العائلية موضعا هاما في وصايا
پتاح حوتب لولده فيقول: « ان أصبحت رجلا موفقا
تكون لنفسك أسرة وأحب زوجتك: اطعمها واكسها
وزودها بالعطور ، وادخل السرور على قلبها طوال حياتك،
فانها حقل خصب لسيدها » واذا كان هذا السياسي
المصرى المحنك يعلى من شأن المركز الاجتماعي والثراء ،
فانه يرى أن لا يتسبب تحقيق ذلك في تدمير العالمية
العائلية ويقترن هذا التقدير الفائق للارتباطات العائلية
وأسرة المرء المخاصة باحترام الارتباطات العائلية في الأسر
وأسرة المرء المخاصة باحترام حياة الناس الخاصة فيحذره من
الأخرى ويحنه على احترام حياة الناس الخاصة فيحذره من
الاتصال بامرأة غريبة ، ذلك لأن آلاف الرجال قد أضاعتهم
نزوة عابرة كالحلم (وكان الموت عقاب الخيانة الزوجية
في مصر القديمة) •

ونشيع فكرة افرار الحق ونهكين العدالة في جميع أقوال هذا السياسي المصرى الحكيم · فانه القائل : ، ان شخلت منصبا اداريا وأصبحت تصدر الأوامر للجمهور . فعليك أن تراجع السوابق الحسنة حتى تخلو أوامرك من الاخطاء ، وكم هي عظيمة العدالة لأن شريعتها خالدة ولم تخلع عن سلطانها قط لأنها مستمدة من الاله ، وقد يزول الثراء لكن تدم العدالة » · واذا كان اعتناق هذه التعاليم يتطلب توافر أخلاق قوية ، فانه ينادى بالتمسك بالخلق القويم ،

ولفد فهم مفكرو مصر بعد عام ٣٠٠٠ قبل المسلاد اصطلاح « معات » (أى العدالة ، الفصاص ، الحق) على هدى التجارب التى تجتازها بلادهم والمسسكلات التى تجابهها والمحن التى تمر بها ١٠ اذ بات لكلمة ، مسات ، معنى امتد من العلاقات الإنسانية الخاصسة الى الجوانب القومية ؛ فأصبح يعبر عن التشكيل القومي وعن نظام الأمة الوطنى وعن ترتيب الكون تحت صيطرة اله الشمس ،

وبالأحرى: أصبح لكلمة دمعات، مدلول قومى ركونى فلم يعد يقتصر على معانى « العدالة والصدق والفسط بناه وهى المعانى التي كان يمارسها الفرد ابان عصر بناه الأهرام ، بل لقد غدا لها مدلول اجتماعى واقعى: اجتماعى وحكومى ، وتطورت الى نظام عالى ، فكان الفساضى في المحاكم المصرية يعلق على صدره صورة من اللازورد لربة

العدالة « معات » ، فاذا حكم لأحد الخصمين ادار اليسه الرمز مشيرا الى أن الربة هى التى حكمت لصسالحه • وأصبحت هذه الربة هى التى تقساوم الغرضى والظلم والخداع •

ومن ثم انبعث لأول مرة في التاريخ حشد من القيم السامية عالمية الطابع ، تتجمع حول حاكم مؤله هو اله الشمس ، وجعل المثقفون المصريون من « معات » ابنته و بفضل الايمان بدور « معات » تطورت حياة المصريين الفكرية وقادتهم الى الاهتداء الى الوحدانية قبل أى سعب في العالم ، ولم يهتد اليها العيرانيون الا بعد اقامتهم بين ظهراني المصريين وخضوعهم لهم في فلسطين وانطوائهم تحت لواء الثقافة المصرية ، واننا لنجد في سعر «ملاخي» (الاصحاح الرابع - آية ٢) الاشارة الصريحة الى اله الشمس المصري الذي كان يرمز اليه بقرص مجتمع « ولكم الشمس المعرى الذي كان يرمز اليه بقرص مجتمع « ولكم أيها المتقون اسمى تشرق شمس البر (القسط = معات)

وما الفكرة المصرية عن النظام الخلقي والاداري ... وهذا مدلول اصطلاح معات ... الا حصيلة تطور اجتماعي وحكومي استمر بضعة آلاف من السنين في كنف حياة قومية منظمة تنظيما عاليا وفي ظل تكافل اجتماعي وطني سبقت مصر بتحقيقه مجتمعات العالم الأخرى بآلاف السنين، وما اهتدى أنبياء العبرانيين الى هذه السنن الخلقية

الا بعد الأسر البابلي ، ولقد سبقت مصر بابل في هذا المجال بالف سنة على الأقل (١) ٠

٣ .. تأثير مصر على منحى البشرية الخلقي

شرع المصريون في الاستحواذ على الساحل السموري قبل أن يدخل العبرانيون فلسطين بالف سينة ، فإن الجيوش المصرية قد دخلت فلسطين قبل عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد ، وفي خلال القرن السادس عشر قبل الميلاد خضم للسيادة المعرية غرب آسيا حتى الفرات • وكانت فلسطن جزءا من الامبراطورية المصرية طوال ألفي سنة بعسيد استيطان اليهود لها • أعنى أن اليهود قد غمر نهم أشعة الحضارة المصرية سواء أثناء اقامتهم بمصر أو استبطائهم فلسطين في ظل الحكم المصرى ، وشاركوا هناك الكنعانيين الذين استوطنوا فلسطن قبل وصيول العبرانين (أي اليهود) بزمن طويل ، وسيقوهم في الانتهال من معين الثقيبافة المم بة • وقد اقتيس هؤلاه العبرانيون لغية الكنمانين فأمسحت من اللغة العبرية التي استعان بها مؤلفو التسموراة في تحريرها ، وان كان لا بنكر تأثرهم بالحضارة البابلية نظرا لموقع فلسيطين الجغرافي وللفترة الطويلة التي أمضوها أسرى في بأبل • هذا ولا يخفي أنَّ

⁽۱) صفحة ۱(۷ وما بعدها Brestead: Dawn of Conscience

اليهود لم ينتظموا في تشكيل قومي الاحوالي عام ١٠٠٠ قبل الميلاد لكنه تحطم قبل انقضاء ماثة عام على وجوده ولم يعد الا في ظل ظروف اصطنعتها الصهيونية العالمية ،

ووردت أول اشارة الى العبرانيين فى رسسائل تل المعمارنة فى عهد الملك اختاتون حوالى عام ١٤٠٠ قبل الميلاد، وذكرت أنهم قوم من البدو الجفاة ، ولقد حملوا معهم من الصحراء عادات همجيه مثل ذبح بكر الأبناء قربانا لاله المسيلة ، وكان حسيما ورد فى التوراة حولا تجع يعقوب فى الامساك به واسه عطفه ليطلق سراحه قبل بزوغ الفجر ، وأطلق هذا الرب الغول على يعقوب اسم «اسرائيل» ولفظ « ثيل » سومرى الأصل وكان يطلق على الاله المحلى وافقل الى فلسطين ثم دخل الأسماء البهودية أثناء النفى بالذات وانتقل منها الى الأسماء الاوربية ،

وفى أتناء مقامهم بمصر تحضر العبرانيون واقتبسوا الكثير من العادات المصرية واعتنقوا طائفة ضخمة من الآراء الدينية (۱) • ولا ننسى أن موسى اسم مصرى قم • وموسى عليه السلام مو الذى أجبر اليهود على الالتزام بعادة مصرية بحتة هى عادة الحتان ، مارسها المصريون قبل عهد الأسرات بزمن بعيد جدا • كما أنه لا شك فى تأثير العقيدة الآتونية

 ⁽۱) ترجى مراجعة كنابنا « مشكلة اليهسودية العالمية » ...
 عدد ۲۶۱ من الكنبة الثقافية .

على متجهات اليهود الفكرية • ونجد فى العهد القديم تأتيرات التفكير المصرى بارزة سواء من ناحية اقتباس القصص أو الأمثال • ويطالعنا فى هذا الصدد أن نصائح الحكيم المصرى آمنسؤوبى ﴿ الجزء السادس فقرات ١ – ١٢ ﴾ قد وردت بالكامل فى الآيات ٥ – ٨ من الاصحاح السابع عشر من سفر أرميا • كذلك نجد المسابهة واضحة بين المزمور الاول ونصائح الحكيم آمنؤوبى • أما المزمور ١٠٤ فانه بوشك أن يكون ترجمة خرفية لأنشودة أخناتون فى تمجيد آتون •

وما برح سفر الأمثال الذي تنسبه التوراة الى سليمان عليه السلام يؤنر في أنباط السلوك الخلقي المسسيحي ولقد تبين من دراسة العلماء لهذا السفر أن امسحاحات بأسرها قد نقلت نقلا عن حكم آمنؤوبي المصرى كما نجد تأثير هذا الحكيم واضحا في سسسفر أيوب وفي القانون العبراني وفي سفر صموثيل واعنى أن حكم آمنؤوبي هي مصدر الكثير من الآراء والأمثال والسنن الخلقية الواردة في الواردة ولم بستطع العسلماء اليهسود الكار هسنه المسابه التهسية فكان أن ادعوا أن الحكيم المصرى قد نقل عن التوراة مع أن آمنؤوبي قد ظهر قبل جمع التوراة بآلاف السنين ولا يتسع المجال في هذه الدراسة لعقد مقارنة وحسبى أن أحيل القارىء الكريم الى مؤلف العالم الكبير حيمس برستد عن و فجر الضمير » و

وصفوة القول ، فأن أنماط السلوك الخلقي التي بشر

بها اليهود لم تنحدر الى البشرية من التوراة ، بل لقد نبعت من وادى النيل * لأن تجارب العبرانيين الاجتماعية في فلسطين قد بدأت في وقت متأخر جدا عن التجساعية الاجتماعية المصرية التي أسفوت بحكم التطور الاجتماعي عن اعتناق المجتمع المصري هذه السنن الخلقية قبلما يعرفها حكماء بني اسرائيل بآلاف السنين * ولم تكن التسوراة سمن الناحية العلمية البحتة – الا مجرد موصل للمنحى الخلقي المصري الذي شرع يتكون في محيط التجارب الاجتماعية الفكر : المادية والمعنوية ، وان كان علمساء الاسرائيليات يسعون جادين لطمس معالم ينابيع الحكمة التي اسستقت يسعون جادين لطمس معالم ينابيع الحكمة التي اسستقت منها التوراة منحاها التفكيري الخلقي بدعوى أنها أوحيت دون الشر جميعا وأن العالم باسره قد عاش في الجهالة دون الشر جميعا وأن العالم باسره قد عاش في الجهالة والضلالة ، حتى ظهر اليهود على مسرح التاريخ العالمي والضلالة ، حتى ظهر اليهود على مسرح التاريخ العالمي والضلالة ، حتى ظهر اليهود على مسرح التاريخ العالمي والضلالة ، حتى ظهر اليهود على مسرح التاريخ العالمي والضلالة ، حتى ظهر اليهود على مسرح التاريخ العالمية والمنافية والمنافية العالمية والمنافية والمنافية والمنافية والمنافية العالمية والمنافية والمنافية العالمية العالمية والمنافية العالمية العالمية والمنافية العالمية العالمية العالمية والمنافية العالمية العالمية والمنافية والمنافية العالمية والمنافية العالمية والمنافية والمنافي

الفصل الثامن

خاتمت المطاف

يصف الكاتب العظيم « رينان ، مصر بأنها المنار الذي أضاء ظلمات العصور القديمة •

والحق ؛ مابرح العالم منذ آلاف السنين يسبع فى خضم ثقافى مصرى وينعم بثمار الفكر المصرى فى جميع ميادين الحياة : المادية والمعنوية .

ويتأكد هذا القول من استعراض عابر لحياة الفرد اليومية في العالم المتحضر • اذ يتبين مدى ما أجدته مصر على الانسانية من مآثر • ذلك لأن الأصالة من أهم صفات الحضارة المصرية القديمة • فانها قد انبعثت بمصر وفيها نمت وتطورت وازدهرت نتيجة للتفاعل بين المصرى وبيئته

وكنمرة لروح الجهاد والكفاح المتأصلة في الحلق المصرى ، ومحصلة دأبه على العمل المتواصل :

فالزراعة كشف مصرى ، ورغيف الخبز ابتـــــــكار مصرى ٠

وفى مصر بدأت الصناعات المظيمة وفى مقدمتها صناعة بناء السفن ، فالمصرى أول من اعتلى ظهر البحاد ، ونشأت بمصر صسناعات النجارة والحسدادة والقيشاني والأواني الزجاجية والمجرية والسلال والحبسال والحور والطوب والفخار والادوات الزراعية ، وكان المصريون أول من استفل المناجم المحاجر ، وأول من غزل ونسج ،

والمنزل ومتطلباته اختراع مصرى ، وكالحك الأدوات المنزلية الاساسية كالفراش والحوان ، ودورة المهسساء ، والكراسي ، المخ ،

وبمصر ظهرت أول مدرسة وأول جامعة ٠

وبمصر انبثقت بدايات العلوم والمعارف والفنون على تنوعها وتباينها وفي مقدمتها الطب والهندسة والكيمياء •

واخترع المصريون الكتابة وصنعوا الورق والبنكروا التقويم الشمسي •

وتطور الفن وازدهر بمصر ، ولا تزال أعمال الحضارة المصرية في البناء والنحت والتصوير تذهل كل من يراها . والحكومة بوظائفها ورسالتها اختراع مصرى ، وبها نشأ أول تنظيم دقيق لاشتراكية الدولة ·

وفى مصر تكونت الصفوة المثقفة الني تتعامل مع الفكر ٠

والصريون أول من قدس المعلقات الزوجية على أساس الزواج من سيدة واحدة بأسرة النيسل العظيم (النيل - الأرض - النبت) • وأعلى المجتمع المصرى مكانة المرأة : والدة وزوجة وابنة وأختا ، وساوى مى المحبة والماملة بين الذكر والأنثى • وكان الأبناء - بنين وبنات موضع حدب الآباء والأمهات ورعايتهم •

وفى مصر بزغ فجر الضمير الانساني وانبلج صبح المعنويات وتبوأت مكارم الأخلاق أعلى مكانة ·

والمصريون أول من أدرك وجود قوة خفية تجاذى المحسن وتعاقب المسيء وما انفكوا أتقى شعوب الأرض وأشدهم ورعا سواء في عصرهم الفرعوني أم المسيحي أم الاسلامي •

وهدتهم بيئة بلادهم الى عقيدة البعن والخاود فى عالم آخر ١٠ ذكان النيل يفيض سنويا فتحيا الأرض وتعود الحياة اليها بعد موات ، فاستقر فى ذهنهم أن الحياة تتجدد دواما وأن الموت مرحلة انتقال لحياة أعظم وأخلد .

والحضارة مصداقا لما قررناه من قبل مصديلة التوافير على العمل الصالح وتوجيه الجهود الانسانية توجيها متمرا والافادة من البيئة الى أقصى الحدود ومن ثم ؛ فان القول: بأن الحضارة المصرية هي نتاج البيئة افتيات على الواقع • ذلك لأن النيل يمر ببلاد عديدة لكن لم تنشأ بها حضارة أصيلة ، بل لم تساهم في الحضارة الانسانية مقسط قليل أو كثير فيما عدا وادى النيل الأدنى : مصر • واذا ما ولينا وجهنا شطر البلاد التي تماثل بلادنا جغرافيا من ناحية توافر البيئة النهرية أو الوقوع على نفس خط العرض ، لا نجد بلدا شارك في الركب الحضارى العالى بأى نصيب عدا بلاد ما بين النهر بن والسند ووادى النهر الأصفر ، أما الجانب الأعظم من البيئات الأخرى المسابهة والأمازون • • • الخ فلم تقدم للحضارة الانسانية أي والأمازون • • • الخ فلم تقدم للحضارة الانسانية أي

فالمنجزات الحضارية المصرية حصيلة تفاعل بين الانسان المصرى وبيئته و أو هي بتعبير الأستاذ توينبي نمرة استجابة المصرى لتحدى بيئته و فان ظروف وطننا تفرض عليه الوحدة لأن أساس الحياة في أرضه واحدة ومصدرها واخد والفائدة التي يجنيها السكان من تنظيم شئون الرى والزراعة مشتركة وكما يجابهون خطرا مشتركا يتمثل في تقلبات مياه النيل و اعنى أن الطبيعة

قد قضت بأن تكون مصر وطنا واحدا لا يمكن تجزئتـــه بحال ، ويتطلب تنظيم المجهود الاجتماعي قيام حــــكومة مركزية قومة فيه ٠

ويختلف مجتمع النهر س أى الزراعة _ عن مجتمع البداوة _ أى الرعى _ اختلافا بينا • فبينما تلزم البيئة المنهرية سكانها بالتجمع والاستقرار والتعاون ، بما يعنيه ذلك من ادراك معنى الوطن والأمة والدولة ، تدفع بيئة البداوة الراعى للانتقال من مكان الى آخر سعيا وراء الكلا ، بما يعنيه ذلك من التفرق والتشتت وانصراف ولاء الفرد بما يعنيه ذلك من التفرق والتشتت وانصراف ولاء الفرد والدولة من عقلية البدو •

فالبيئة النهرية أنتجت الفلاحين والصناع ، والتجت البيئة البدوية خو التجار .

وينبني على ما تقدم اختلاف النظرة الى المثل العليا :

فالحكم العادل هو مثــل المصرى الأعلى * * ففى ظله ينمى ملكاته المادية والمعنوية •

والانطلاق بلا حدود ، أو على الأقل الحياة في ظل أدنى ما يمكن من النظم ، يمثل غاية الغايات في المجتمع البدوي .

أما المصرى فلا يمسكن أن بعيش الا في ظل حكومة

مستقرة يقدسها ويرتضى التتازل عن جسانب كبير من الشخصية مادامت اقامتها تحقق ركن العدالة الركين فلا بدع وأن تصبح تهمة الظلم أبشسم ما يتهم به مصرى وتؤذر في نفسيته تأثيرا بليغا .

بينما يأنف البدوى من الخضوع الى النظام الحكومة الا ان فرض عليه فرضا • وعدد ثذ يقبله على مضـــض • ويحفل تاريخ الانسانية بثورات البدو وانتفاضاتهم ضد النظم التي تقرض عليهم •

واستجابة المصرى لدواعى النظام والتكافل ، سجية فطرته عليها الطبيعة ، فان شذ عنها اختلت أموره وضعف شأن بلاده وعمتها الفوضى وافترستها المجاعة •

وبعبارة أوضح ؛ فان مشكلة المجتمع البدوى سياسية ثقافية في صميها وأساسها : تتمنل في اخضاع أفراد المجتمع للاستقرار والنظام لتتألف الأمة والدولة •

بينما أن مشكلة المجتمع النهرى والمصرى بالذات اقتصادية أولا واأخيرا • اذن تمكن فى حسن المستغلال ورادد البلاد لتتوامم مع زيادة السكان مع ما يقتضيه ذلك من تعبئة الموارد والجهدو البشرية لكفالة هذه الغاية المرتجاة •

وتنعم مصر بطبيعة : قوية ، بسيطة رائعة ، مشرقة ، مستقرة ، رتيبة ، سافرة ، رخية ، خيرة ° فكان أن أضغت على الخلق المصرى الهدوء والسماحة والاستقرار ، واشاعت فى نفسية المصرين البشر والابتهاج ، ودفعتهم للاستمساك بالبقاليد الموروية . كما أوحت اليهم معنى الروعة والحلال والحلود والدوام •

ولا سسسبهة في أن الصريين قد احتفظوا بصفاتهم الجسمية وحافظوا على صلات الدم والسلالة التي تربطهم بأجدادهم الأقدمين عبر تاريخهم العريق وقد تم هسذا بفضل موقع البلاد الجغرافي الفريد الذي أحالها الى حزيرة وأضفى هذا الموقع صفات فذة على سكانها فأصبح لهم دور خاص داخن الاطار العام للحضارة العسالية وفان مصر لا تجد ضيرا من الإقبال على انتهال المعارف من السسلاد الاخرى ولكن مع الحفاظ على شخصبتها التي ما برحت تتميز بها و

وحسبى العول أن الثقافة اليونائيسة قد الدهرت بمصر وقتما قرت في بلادها الأصلية ، وإن اللاهوت المسيحى قد صبغ بمصر ، وانهسا غدت بعد اسلامها واستعرابها قلب الإسلام النابض وفكره وحصن العروبة تدغيما الوقاد ، وما أن اتصلت مصر بأوروبا حتى شرعت تسنوعب نقافتها ، وعساد المبعوثون المصربون ممن كانوا بالأمس مجرد فلاحين أميين عادوا الى بلادهم وفق النظم الحضارية الخطاء ومهناسين وادارين تعسسدوا تنظيم بلادهم وفق النظم الحضارية

الحديثة وليؤهلوا بلادهم لتصــــــل ما انقطع من رسالتها الحضارية في المجتمع الانساني •

وأن التحدى الذى تجابهه بلادنا فى الوقت الحاضر متمثلا فى العدوان الامبريالى والصهيونى سيدفع المصريين لابراز استجابة مبدعة تؤهلهم لأن يشاركوا بتصيب موفور فى تادية رسالة مصر الحضارية الخالدة : رسالة لم تنقطع على مر العصور وستواصل سيرها أبد الابدين ودهـــر الداهرين •

قهرس

الصفحة		الموضوع
٣		الإهداء
٥		تقديم ٠٠
	: វ	الفصل الأو
11	ات الأساسية للحضارة المصرية	
	_	الفصل الثا
70	ن الحضارة المصرية ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠	تكوير
	الث :	الفصل الثا
39	ئص التفكير الديني في مصر القديمة ٠٠	خصا
	ابع :	الفصل الر
00	ة آتون التوحيدية ٠٠ ٠٠ ٠٠ ٠٠	عقيد
111		

المفحة الصفحة

الفصل الخامس:

متجهات الأدب المصرى القـــديم · · · · ٦٧ الفصل السادس :

. سعدل استحداد

أنماط الفن المصرى القديم ·· ·· ·· الفصل السابع :

التراث الخلقي المصرى ٠٠٠٠٠٠ ١٨٩

49

الفصل الثامن :

خاتمة المطاف المطاف

المطبعة الثقافية

وزارة الثماغة اليبثة المصربة العامة الثأليف والنشز

Vical Vices : Spile الاهادة العامه للتوزيع . ١٧ شارع مصر البيل - القاهره - ج ع.م. EVERT ! PARRE ! THEYE

مكنبات اللومية للبوزيع في ج ٠ ع ٠ م ٠

۱۹ شارع ۲۱ برلیو ت. ۲۷،۵۵ terry: -

۲۲ شارع الحمورية ت ۹۱۶۲۲۳ STEAT -الناب الأحصر بالحسين ت ١٣٤١٧ YIIAV : -

١٢ شادع المبديان الاسكندية ١ ٤٩ شارع سد زعاول ٢٢٩٣٠ الجوة : ١ ميدان اشيرة ت ١ ١٩٨٣١١ . شارع صد السلام الشاذل ٢٦٠٠ واليسا : شارع ابن عصيب ت ١٤٥٤ . : ميدال الساعة 15:05

٢٠٩٤ اسيوط : شارع الحمهورة ت.٢٠٢٠ ۲۹۲۷ اسوان : البرق الباحي ث: ۲۹۲۰ الحلة الكبرى: ميدان المعالة المنصورة ، أول شارع التورة IFAT

مراكز البوزيج خارج ۾ * ع * م لبتان : الشركة العومية تادوزيم – بعروت – شارع سوريا سامه أماء صمدى وصالحه العراق: الشركه القومية الدوزيم -- مصداد -- ديداد التحرير - عمدارة فاطعة

توکیلات وعملا، دائمین خارج ج ، ج ، م الكويت : وكالة الملوعات ٧٧ شارع فهد السالم دالكويث مكة المحسب - عمال الاردن

لبيسا ؛ عمود عارف الشوجاى - طرابلس الدوليسيا . عبد الله عمد الميدروس - حاكراا تولس : الشركة التونسية الموريم ه شاوع لرطاج تولس

اللغوب : المركز الثقافي العربي للنشر والبوزيع ٤٧ – ٤٤ الشفوع الملكي – الاحماس – هولندا : مكية بريل - ليدن

الدار المعاء

العقبقة اعشرة العاشيلة ليث واللشر ن خشارته التاريء الترال

٩٧ شارع مدوش مراد بالحزائر العاصمة

اغزائر

ااركز الرئسى

٣٦ شارع شريف

ه ميدان حراق

- سفے بوزارۃ الغارجیة
- امضى في السبلك الديبلوماسي المصرى اكثر
 من ثلاثين عاما .
- من اهم مؤلفاته: مختصر دراسة التاريخ « ترجمة عن تويتبي » في أربعة اجزاء ... حكمة المعين « دراسست المسالم الفكر المسيتي مندافدم المصور حتى الانك في جزءين ... السياسات الاقتصادية الدولية ... دراسة تحليلية للدستور السوفيتي... منهاج تويني التاريخي ... حضارة الإسلام في دراسة تويني التاريخي ... التنميسة الاقتصادية ... دراسات في اقتصاديات القارة الافريقية ... مشسكلة اليهودية المائية ...



فؤادمحمد شيل

